الإنسان كما يفكر يكون

تأليف

جيمس آلان

ترجمة أسامة جناد

درب الغنى

تأليف

جيمس آلان

ترجمة جانبوت حافظ

الرقم الإصدار: ٠١٢

ISBN: 978-9933-511-07-4 :الرقم الدولي

الرقم الموضوعي: ١٥٨)التنمية البشرية)

71ص، ١٢ × ٢٠ سم

الطبعة الأولى : ١٤٣٥هـ= ٢٠١٤م

جيمس آلان

الإنسان كما يفكر يكون

ترجمة أسامة جناد

استهلال

لم يقصد بهذا الكتاب الصغير (الذي هو حصيلة التأمل والخبرة) أن يكون أطروحة مفصلة للكثير مما كتب حول موضوع قوة الأفكار؛ فهو موحٍ أكثرَ من أن يكون تفسيرياً، وهدفه حث الرجال والنساء على أن يكتشفوا ويدركوا حقيقة :أنهمٍ هم بأنفسهم من يقومون بصنع أنفسهم ، استناداً إلى الأفكار التي يختارونها ويشجعونها، والتي يعد العقل ناسجها البارع في كل من رداء الشخصية الداخلي، ورداء الظروف الخارجية، هذه الأفكار التي قد تكون حيكت حتى الآن بالتجاهل والألم، يمكن حياكتها حالياً بالاستنارة و السعادة.

جيمس آلان

التفكير والشخصية

لا يشمل القول المأثور: «كما يفكر الإنسان في قلبه فكذلك يكون»، كامل وجود الإنسان فحسب، ولكنه شامل جداً بحيث يمتد ليلامس كل وضع أو ظرف من ظروف حياته. إن الإنسان هو حرفياً ما يفكر فيه ، وما شخصيته إلا الحصيلة الكاملة لجميع أفكاره.

وكما ينتج النبات من البذرة ولا يمكنه الوجود لولاها، فكذلك تنبع كل تصرفات الإنسان من البذور الخفية للأفكار، ولا يمكنها أن تظهر لولاها. وهذا الأمر ينطبق بشكل متساوٍ على كل من الأفعال المسماة "عفوية" و "غير متعمدة" تماماً كما ينطبق على الأفعال المنفذة عمداً.

إن الفعل هو الزهرة المتفتحة للفكرة، والبهجة والمعاناة ثمارها، لذلك؛ فالإنسان هو حصيلة كل من الحصاد الحلو والمر لزراعته الذاتية.

ما نحن إلا صنيعة أفكار عقولنا،

وما نكونه، قد تمت كتابته وبناؤه بالأفكاروإذا احتوى عقل المرء

أفكاراً شريرة فإن الألم يأتيه؛ تماماً

كما تلحق عجلات العربة بالحصان.

وإذا ما استطاع المرء الثبات والتحمل

فمن صفاء الفكر سوف تتبعه البهجة كظله تماماً بكل تأكيد

ينمو الإنسان استناداً إلى قانون، فهو ليس مخلوق الخدعة. و (قانون (السبب والنتيجة هو حقيقة مطلقة وطبيعية في العالم الخفي للفكر، تماماً كما في عالم الأشياء المادية والمرئية.

ليست الشخصية النبيلة والروحانية مسألة تفضيل أو حظ، ولكنها النتيجة الطبيعية للجهود المتواصلة في التفكير الصحيح، وهي نتيجة الاتصال الحميمي الطويل مع الأفكار الروحانية، ووفقاً للآلية نفسها؛ فالشخصية الخسيسة البهيمية هي نتيجة للاحتضان المتواصل للأفكار الدنيئة.

يُصنع الإنسان أو لا يُصنع من قبله هو شخصياً، فمن خلال مستودع أسلحة الفكر يقوم باستنساخ الأسلحة التي يدمر بها نفسه، ومن خلاله أيضاً يقوم بتصميم الأدوات التي يبني بواسطتها لنفسه قصراً فردوسياً من البهجة والقوة والسلام.

وبالاختيار الصحيح للأفكار والتطبيق الصادق لها يرتقي الإنسان إلى الأداء المثالي، ولكنه ومن خلال سوء استعمال الأفكار والتطبيق الخاطئ لها، ينحدر إلى ما دون مستوى الوحوش. وما بين هذين الحدين النهائيين، توجد مختلف مستويات الشخصيات والصفات التي يصنعها الإنسان ويتحكم بها.

من بين جميع الحقائق الجميلة الخاصة بالروح والتي تم تجديدها وإعادتها إلى الأضواء ثانية في هذا العصر، ليس هناك حقيقة أكثر إسعاداً وإثماراً من الوعد الإلهي والثقة التامة، بأن الإنسان هو سيد أفكاره وباني شخصيته وصانع ظروفه وبيئته وحياته.

وبكونه كائن الطاقة والذكاء والحب وسيد أفكاره الخاصة، يمتلك الإنسان مفتاح أي موقف يواجهه، وهو يحوي في داخله تلك القوة المحولة والمولدة التي يمكنه بواسطتها أن يجعل من نفسه أي شيء يريده.

وحتى في أقصى حالات ضعفه وانعزاله، يبقى الإنسان دائماً سيداً متحكماً، ولكنه يكون في هذه الحالات سيداً أحمقَ، يسيء حكم منزله الخاص وإدارته. وعندما يبدأ بالتأثير في ظروفه، وبالبحث الدؤوب عن القانون الذي قام وجوده على أساسه، فإنه يصبح عندها السيد الحكيم، الموجه لطاقاته بذكاء، والمستخدم لأفكاره في مواضيع مثمرة. ويمكن لهذا الإنسان والسيد الواعي أن يحقق ذلك فقط من خلال اكتشاف قوانين الفكر داخل نفسه، وما اكتشافها هذا إلا مسألة تطبيق وتحليل ذاتي وخبرة شخصية بالكامل.

وكما أنه لا يمكن الحصول على الذهب والألماس إلا من خلال البحث والتنقيب بشكل كاف، فكذلك أيضاً يستطيع الإنسان أن يجد كل الحقائق المتعلقة بوجوده إن قام بالتنقيب جيداً في منجم نفسه. ولأنه صانع شخصيته ومقولب حياته وباني قدره، فبمقدوره أن يثبت وبصواب، هل سيراقب ويتحكم ويبدل أفكاره متتبعاً تأثيراتها على نفسه والآخرين، وعلى حياته، وظروفه، رابطاً (قانون (السبب والنتيجة بالممارسة والتحري الصبورين، ومستثمراً ومستفيداً من كل خبراته، حتى أكثرها تفاهة، وتكراراً كل يوم، كوسائل وأدوات لاستنباط تلك المعرفة عن نفسه، والتي هي معرفة قابلة للفهم وحكيمة وصاحبة قوة وسلطان.

عن هذا التوجه لا غير يتحدث القانون المطلق: "ذلك الذي يسعى يجد مسعاه، ومن يدق الباب يُفتح له"، ذلك أنه بالصبر وحده والممارسة والإلحاح المتواصلين يمكن للإنسان أن يلج باب المعرفة.

تأثير التفكير في الظروف

يمكن تشبيه عقل الإنسان بالحديقة التي يمكن رعايتها بحكمة أو تركها لتصبح موحشة. ولكن، سواء أتمت رعايتها أم أهملت، فإنها لا بد من أن تتطور؛ فإن لم توضع فيها بذور مفيدة، فإن فيضاً من بذور النباتات الضارة ستسقط في ذلك المكان، وستواصل إنتاج بذور على شاكلتها. وتماماً كما يقوم المزارع بتعهد قطعة الأرض الخاصة به، ويبقيها خالية من بذور النباتات الضارة، ويزرع فيها الأزهار والغراس التي يريدها، فكذلك أيضاً يمكن للإنسان أن يعتني بحديقة عقله، مُطهراً إياها من كل الأفكار الخاطئة والعديمة الفائدة والدنيئة، ويتعهدها بالرعاية لإبداع أزهار وثمار أفكار الحق والخير والنقاء. ومن خلال متابعة هذه العملية سيكتشف الإنسان عاجلاً أم آجلاً أنه المزارع السيد المتحكم بنفسه والمدير لحياته. كما سيكتشف في داخل نفسه قوانين التفكير، وسيفهم بدقة متزايدة، كيف تعمل قوى التفكير ومكونات الإدراك على تشكيل شخصيته وظروفه.

إن التفكير والشخصية هما أمر واحد، فكما أنه يمكن للشخصية أن تكشف عن نفسها وتنجلي من خلال البيئة والظروف، فكذلك أيضاً ستكون الظروف الخارجية للإنسان مرتبطة دائماً بحالته الداخلية.

هذا لا يعني أن ظروف الإنسان في أي زمن محدد هي دليل على مجمل شخصيته، ولكن تلك الظروف مرتبطة بشدة ببعض عناصر التفكير الأساسية في داخل نفسه، والتي لا غنى عنها في الوقت الحاضر، لتطوره.

إن كل إنسان موجود في الموقع والحال الذي هو فيه وفقاً لقانون وجوده، والأفكار التي بناها داخل شخصيته أوصلته إلى حيث هو موجود، وفي ترتيب حياته لا وجود لعنصر المصادفة، ولكن شخصيته كلها هي حصيلة قانون لا يخطئ. وهذا القانون ينطبق على أولئك الذين يشعرون بعدم انسجام مع بيئتهم، تماماً كما ينطبق على أولئك المقتنعين بها.

وبكونه كائناً يتقدم ويتطور، فإن الإنسان موجود حيث هو عسى أن يتعلم فينمو ويتطور، وعندما يتعلم الدرس الروحي الذي تحويه أي ظروف بالنسبة له، فإن هذه الظروف تذهب وتترك مكانها لظروف أخرى.

يبقى الإنسان غرضاً للظروف ما بقي يؤمن بأنه نتاج تلك الظروف الخارجية ، ولكنه عندما يدرك بأنه قوة مبدعة، وأنه قادر على التحكم بالبذور والتربة الخفية لوجوده بمعزل عن أي ظروف تنمو فيها هذه البذور، فعندها فقط يصبح السيد الشرعي لنفسه.

إن تلك الظروف تنبثق عن التفكير، وهو أمر يعلمه أي إنسان مارس التحكم في نفسه وتطهيرها لفترة من الزمن، لأنه سيكون قد لاحظ أن أي تبدل في ظروف حياته قد حصل بنفس نسبة تبدل حالته الذهنية تماماً.

ولذلك فمن الحقيقة أنه عندما يجهد الإنسان نفسه بشكل جدي في معالجة عيوب شخصيته ويتقدم بشكل سريع وملحوظ، فإنه يمر بسرعة من خلال سلسلة من التقلبات.

تجتذب النفس إليها ما تضمره بشكل خفي في داخلها، أي كل ما تحبه، وأيضاً كل ما تخشاه وتخافه. إنها ترقى إلى مستوى تطلعاتها العزيزة عليها .وهي تهوي أيضاً إلى مستوى رغباتها السيئة، وما الظروف الخارجية إلا الوسائل التي تتلقى فيها النفس ما هو موجود في داخلها.

إن كل بذرة فكرة زرعت أو سمح لها بالوقوع في الذهن وتركت هناك كي تتجذر، سوف تنتج ذاتها وتتفتح عاجلاً أم آجلاً في فعل أو تصرف، وستنتج فرصها وظروفها.

تنتج الأفكار الجيدة ثماراً حلوة جيدة، وتنتج الأفكار السيئة ثماراً مرة سيئة .

يقوم عالم الظروف الخارجية بتشكيل نفسه تبعاً لعالم الأفكار الداخلية للإنسان، وما الظروف الخارجية السارة وغير السارة إلا عوامل يتم اصطناعها لأجل الخير اللانهائي للفرد.

وبكونه جاني حصاده الخاص يتعلم الإنسان من خلال كل من المعاناة والنعمة.

وباتباع الإنسان لأعمق رغباته وتطلعاته وأفكاره التي يسمح لها بالهيمنة عليه (مطارداً الأمل الخادع للتصورات والتخيلات الملوثة، أو قاطعاً بثبات الطريق السريع للمساعي القوية والعالية المستوى) يصل الإنسان في النهاية إلى إثمارها وإنجازها على مستوى الظروف الخارجية لحياته.

إنها قوانين النمو والتوافق من أي مكان تم تلقيها.

لا يصل الإنسان إلى مأوى الفقراء أو السجن نتيجة لطغيان القدر أو الظروف، بل كمحصلة للأفكار الذليلة والرغبات الخسيسة.

لا يقع الإنسان صاحب الفكر النقي في الجريمة فجأة نتيجة لضغط أي قوة خارجية وحدها، فالتفكير الإجرامي يكون قد تربى وتم تدعيمه داخل القلب لمدة طويلة، وساعة اغتنام الفرصة لارتكاب الجريمة تكشف فقط عن هذه القوة المتجمعة للأفكار الشريرة.

إن الظروف لا تصنع الإنسان، بل تكشفه أمام نفسه .

لا وجود لشيء اسمه ظروف تنحدر بالإنسان نحو الرذيلة والمعاناة المصاحبة لها، بمعزل عن الميول الخبيثة الفاسدة، ولا وجود أيضاً لظروف ترتقي بالإنسان نحو الفضيلة وسعادتها الرائقة، من دون الزراعة والتربية المتواصلة للتطلعات الفاضلة المستقيمة، وعليه فالإنسان - لكونه سيد تفكيره وحاكماً له - هو صانع نفسه والصائغ المشكل للظروف المحيطة به.

وفي كل خطوة من رحلة حياتنا الأرضية، نجذب إلينا ذلك الخليط من الظروف الذي يكشف عن ذواتنا، وما هذه الظروف إلا انعكاس لمدى نقاء هذه الذوات أو عدم نقائها، وقوتها وضعفها.

لا يجذب الإنسان نحوه ما يريده ويتطلع إليه، بل ما هو مصنوع منه ومجبول عليه. ربما تكون نزواته وأهواؤه وطموحاته قد أحبطت في كل خطوة، ولكن أفكاره ورغباته العميقة الغور تتم تغذيتها ذاتياً، سواء أكانت تلك التغذية فاسدة أم صالحة.

إن ما يقرر مصيرنا موجود بداخلنا، إنها نفسنا التي بين جنبينا.

فالإنسان هو الذي يقيد نفسه، وأفكاره وأفعاله هي التي تحكم مصيره .وعندما تكون هذه الأفكار والأفعال سيئة فإنها تضع الأغلال على مصيره، ولكن هذه الأفكار يمكن لها أن تكون رسائل حرية تحرره عندما تكون نبيلة وشريفة.

لا يحصل الإنسان على ما يتمناه ويدعو له، ولكنه يحصل على ما يستحق أن يكسبه بعدل واستحقاق، وتستجاب أمنياته ودعواته وتتحقق فقط عندما تكون منسجمة مع أفكاره وأفعاله.

وعلى ضوء هذه الحقيقة فما معنى مقولة (محاربة الظروف)؟ إنها تعني أن الإنسان يثور باستمرار ضد التأثيرات الخارجية، فيما هو يقوم طيلة الوقت بإنعاشٍ وحفظٍ لمسبباتها الداخلية الموجودة في قلبه. وقد تأخذ هذه المسببات شكل نقيصة واعية أو ضعف لاواع، ولكن وبغضِّ النظر عن ماهيتها، فإنها تعيق بعناد جهود صاحبها، الذي يصرخ عالياً مطالباً بالعلاج.

يتطلع البشر لتحسين ظروفهم، إلا أنهم غير راغبين بتطوير أنفسهم، ولذلك يبقون مقيدين.

لا يمكن للإنسان الذي لا يتراجع أمام الصعوبات الكبيرة أن يفشل أبداً في إنجاز الهدف الذي وضعه له قلبه. وهذا ينطبق على الغايات الأرضية والسماوية على حد سواء. حتى الإنسان الذي يرى في حيازته للثروة غايته الأساسية في الوجود، عليه أن يكون جاهزاً لتقديم تضحيات شخصية كبيرة قبل أن يحقق هدفه، وإذا كانت الثروة المادية تتطلب كل ذلك، فما المقدار (الأكبر من ذلك) الذي سيدفعه من يريد أن يحقق حياة عزيزة ومتوازنة بشكل جيد؟

ههنا رجل فقير إلى درجة مزرية، ومتطلع بشدة إلى تحسين ظروف معيشته وحياته، ومع ذلك فهو يتهرب طيلة الوقت من عمله، ويعتبر أنه محق في محاولته خداع مديره، وذلك لكون أجرة عمله غير كافية.

لا يفهم مثل هذا الرجل أبسط أساسيات تلك المبادئ، التي هي القاعدة الأساسية لتحقيق الثروة والرخاء الحقيقيين، وهو ليس فقط غير مؤهل أبداً للنهوض من بؤسه، ولكنه حقيقة يجتذب إليه بؤساً أشد عمقاً؛ من خلال استقراره داخلياً وتصرفه خارجياً وفقاً لأفكار الكسل والخداع والجبن.

ورجل آخر ثري وقع ضحية مرض عضالٍ ومؤلمٍ نتيجة نهمه، وهو على استعداد لدفع مبالغ طائلة من المال للتخلص من مرضه، ولكنه غير مستعد للتضحية برغباته النهمة. إنه يريد أن يشبع نهمه في الأغذية غير الصحية وأن يحافظ على صحته بنفس الوقت. رجل كهذا غير أهل لامتلاك الصحة البدنية لكونه لم يتعلم بعد المبادئ الأولية للحياة الصحية.

وهذا رب عمل يستخدم موازين مختلة ليتجنب دفع الأجرة النظامية، ويخفض أجور عماله على أمل أن يجني عوائد أكبر. مثل هذا الرجل غير مؤهل بتاتاً للحصول على النجاح والثروة، وعندما يجد نفسه مفلساً، على صعيدي السمعة بين الناس، والثراء المادي، فإنه يلوم الظروف، غير عارف بأنه الصانع الوحيد لظروفه وأوضاعه.

لقد قدمت الأمثلة الثلاثة السابقة كي أوضح فقط حقيقة أن الإنسان هو المسبب - بشكل لاواع غالباً - لظروفه، وأنه، وبينما يهدف إلى الوصول إلى خاتمة جيدة، فإنه يواصل باستمرار إحباط تحقيق ذلك؛ من خلال تشجيعه لأفكار ورغبات يستحيل أن تنسجم مع تلك الخاتمة التي يهدف إليها.

يمكن لمثل تلك الحالات أن تتضاعف وتتكرر بشكل لانهائي له تقريباً، ولكن هذا غير ضروري، ما دام القارئ يستطيع - إن كان ذا عزيمة قوية - أن يتعقب أثر قوانين الفكر في عقله وحياته

الشخصية، وإلى أن يحدث ذلك، فإن الحقائق والوقائع الخارجية وحدها لا يمكنها أن تقدم أرضية للاستدلال والاستنتاج[1].

ومن ناحية أخرى فإن الظروف معقدة للغاية، والأفكار متجذرة بعمق، وظروف السعادة تتنوع بشكل واسع بين الناس، بحيث إن كامل الحالة النفسية للإنسان - على الرغم من معرفتها من قبله - لا يمكن الحكم عليها من قبل شخص آخر من خلال المظهر الخارجي لحياته فقط.

قد يكون شخص ما أميناً في نواحٍ معينة، ومع ذلك يعاني الحرمان، وقد يكون شخص آخر غير أمين في نواحٍ محددة، ومع ذلك يحوز الثروة، ولكن الخلاصة التي تتشكل عادة، والتي تقول بأن الشخص الأول فشل بسبب أمانته تحديداً، وأن الآخر أصبح ثرياً بسبب عدم أمانته حكماً، هي حصيلة حكم سطحي يفترض بأن الشخص غير الأمين هو فاسد كلياً تقريباً، وأن الشخص الأمين فاضل بالكامل .وعلى ضوء معرفة أعمق وتجربة أكثر حكمة فإن حكماً كهذا خاطئ؛ فقد يمتلك الشخص غير الأمين بعض الفضائل المثيرة للإعجاب التي لا يملكها الشخص الآخر، فيما يملك الشخص الأمين رذائل كريهة غير موجودة لدى الأول.

يجني الشخص الأمين النتائج الجيدة لأفكاره وأفعاله الشريفة، وهو أيضاً يجلب لنفسه المعاناة التي تنتجها رذائله، وبالمثل أيضاً يراكم الشخص غير الأمين معاناته وسعادته.

من المفرح بالنسبة إلى الغرور الإنساني الإيمان بأن معاناة شخص ما تنتج عن فضائله، ولكن، وإلى أن يستأصل ذلك الشخص كل تفكير شائن ومرير ومريض من عقله، ويمحو كل شائبة مشينة من شخصيته، فلن يكون في وضع يسمح له أن يعلن فيه ويصرح بأن معاناته هي نتيجة لحسن أخلاقه، وليست نتيجة لصفاته السيئة.

وفي سعيه نحو ذلك، وقبل أن يصل إلى مستوى الفضيلة المثلى بوقت طويل، سيكتشف الإنسان من خلال عمله على عقله وحياته بأن القانون العظيم للحياة، والذي هو حق بالمطلق، لا يستطيع أن يعطي الخير للأشرار، ولا الشر للأخيار.

وبامتلاكه لمثل هذه المعرفة، سيعلم حينها، وهو يتطلع إلى ماضيه من التجاهل والتعامي، بأن حياته كانت دائماً وستبقى، منظمة بعدل، وأن كل تجاربه السابقة، الجيد منها والسيئ، كانت المكافئ الخارجي العادل والمستحق لنفسه الداخلية الناشئة وغير المهذبة بعد.

لا يمكن للأفكار والأفعال الجيدة أن تنتج نتائج سيئة أبداً، كذلك لا يمكن للأفكار والأفعال السيئة أن تنتج نتائج جيدة أبداً . وهذا مطابق تماماً لقولنا: إنه لا يمكن أن ينتج من نبات الذرة إلا الذرة، ولا ينتج عن نبات القراص إلا القراص. يفهم البشر هذا القانون في عالم الطبيعة ويعملون به، لكن القليلين هم الذين يفهمونه في العالم الأخلاقي والعقلي، مع أن عمله هناك هو بنفس البساطة والاستقامة، ولذلك فقلة هم أولئك الذين يتعاونون معه.

إن المعاناة هي دائماً نتيجة لأفكار خاطئة في اتجاه ما ، وهي إشارة إلى أن الفرد على غير انسجام مع نفسه، وقانون وجوده. إن الاستخدام الوحيد والأسمى للمعاناة هو من أجل تطهير النفس وتهذيبها، والتخلص من كل ما هو عديم النفع وشائن.

لا تطال المعاناة الإنسان النقي، فليس هناك من فائدة من صهر الذهب بعد إزالة الزبد منه، لذلك لا يمكن للإنسان النقي المستنير أن يعاني.

إن الظروف التي يواجهها الإنسان عند المعاناة، وكذلك الظروف التي يصادفها عند السعادة، ما هي إلا نتيجة لانسجامه الذهني الخاص به. فالسعادة وليس حيازة الممتلكات المادية، هي مقياس التفكير الصحيح، والتعاسة لا الفقر في الممتلكات المادية هي مقياس التفكير الخاطئ. فقد يكون الإنسان ثرياً ولكنه ملعون، وقد يكون فقيراً ولكنه مبارك. والسعادة والغنى يأتيان معاً فقط عندما يستخدم الثراء بشكل صحيح وحكيم. والإنسان الفقير لا يهوي إلى التعاسة إلا عندما يعتبر قدره عبئاً فرض عليه بشكل ظالم.

إن الفقر والإدمان هما حدا البؤس، وكلاهما غير طبيعي وحصيلة لاختلال ذهني. والحالة الطبيعية للإنسان هي في كونه سعيداً، معافى، وثرياً .والسعادة والصحة والثراء هي محصلة التوافق المنسجم ما بين الإنسان من الداخل وظروفه المحيطة به من الخارج.

يبدأ الإنسان في كونه إنساناً عندما يتوقف عن التذمر والشكوى ويبدأ البحث عن العدالة الخفية التي تنظم حياته.

وفيما هو يكيف عقله وفقاً لذلك العامل الناظم، فإنه يتوقف عن اتهام الآخرين بأنهم سبب ظروفه وأوضاعه، ويبني نفسه وفقاً لأفكار صحيحة ونبيلة.

كما يتوقف أيضاً عن الاعتراض على الظروف، ويبدأ في استخدامها كعون في تقدمه المتزايد السرعة، وكوسائل لاكتشاف القوى والإمكانيات الخفية في داخله.

إن النظام لا الفوضى هو المبدأ المهيمن على الكون، والعدالة لا الظلم هي روح الحياة ومادتها، والصلاح لا الضلال هو القوة المقولبة والمحركة في الحكومة الروحية لهذا العالم.

وما دام الأمر كذلك، فما على الإنسان إلا أن يأخذ جانب الحق ليكتشف أن الكون كله في هذا الجانب، وفي أثناء عمله على ذلك سيجد أنه فيما يقوم بتغيير أفكاره عن الأشياء والناس الآخرين، فإن الناس والأشياء الأخرى سيتغيرون هم أيضاً تجاهه. ودليل هذه الحقيقة موجود في كل شخص، ولذلك يتم الإقرار بها بالبحث البسيط من خلال استبطان النفس وتحليلها المنهجي.

دع إنساناً يغير تفكيره بشكل جذري، وسيذهل من التحول السريع الذي سيؤثر في الظروف المادية لحياته .

يعتقد البشر أن التفكير يمكن أن يُحفظ سراً، ولكن هذا غير صحيح، إذ سريعاً ما يتبلور هذا السر على شكل عادة، والعادات تتجلى على شكل ظروف.

تتبلور الأفكار الفاسدة على شكل عادات؛ إدمان المشروبات الكحولية وانغماس في الملذات الحسية، تتجلى بدورها على شكل ظروف فقر ومرض.

تتبلور الأفكار الشائنة من أي نوع في عادات منهكة ومشوشة، تتجلى في ظروف مربكة وغير مواتية وعسيرة، إن أفكار الخوف والشك والتردد تتبلور في عادات متراخية جبانة مترددة، والتي تتجلى في ظروف فشل وفقر واعتمادية خانعة.

تتبلور الأفكار الكسولة في عادات القذارة وقلة الأمانة والتي تتجلى في ظروف البذاءة والفقر المدقع. فيما تتبلور أفكار الكراهية والإدانة في عادات إلقاء التهم والعنف والتي تتجلى في ظروف

الظلم والاضطهاد. أفكار الأنانية من كل نوع تتبلور في عادات الأنانية والانتهازية والتي تتجلى في ظروف تعاسة كبيرة أو صغيرة.

ومن ناحية أخرى، تتبلور الأفكار الجميلة من كل نوع في عادات النعمة والسمو والعطف والتي تتجلى في ظروف طيبة ومتفائلة.

تتبلور الأفكار النقية في عادات الاعتدال والتحكم بالنفس، والتي تتجلى في ظروف الطمأنينة والسلام.

تتبلور أفكار الشجاعة والاعتماد على الذات والإصرار في عادات شريفة تتجلى في ظروف النجاح والوفرة والحرية.

تتبلور الأفكار الحيوية النشيطة في عادات الطهارة والاجتهاد والتي تتجلى في ظروف مريحة سارة.

تتبلور أفكار اللطف والغفران في عادات اللطافة والدماثة والتي تتجلى في ظروف وقائية حافظة.

تتبلور أفكار المحبة والإيثار في عادات الإيثار والتي تتجلى في ظروف رخاء أكيد وثابت وثراء حقيقي.

إن الإصرار على سلسلة محددة من الأفكار المتصلة، سواء أكانت جيدة أم سيئة، لا يمكن أن يفشل في إظهار نتائجه على الشخصية والظروف.

> لا يستطيع الإنسان اختيار ظروفه بشكل مباشر، ولكن بمقدوره اختيار أفكاره، وهكذا فإنه بشكل غير مباشر، ولكن مؤكد، يصوغ ظروفه .

تساعد الطبيعة كل إنسان على تحقيق الأفكار التي يكون أكثر تشجيعاً لها .وما الفرص التي تعرض له إلا تلك التي تُظهر على السطح بأسرع شكل ممكن كلاً من أفكاره الجيدة والشريرة.

دع إنساناً يوقف أفكاره الشريرة وسوف يلين العالم كله له، ويكون مستعداً لمساعدته، دع هذا الإنسان يطرح عنه أفكاره الواهنة المريضة وستبزغ له الفرص من كل ناحية مساندةً لقراراته الصحيحة.

دعه يشجع الأفكار الطيبة ولن يُلزمه شيء بالتعاسة والخزي. إن العالم هو مشكالك[2]، والمزيج المتنوع من الألوان التي يبرزها لك في كل لحظة متعاقبة هي الصور المعدلة بشكل رائع لأفكارك دائمة الحركة.

سوف تكون ما تريد أنت أن تكونه

فدع الفشل يجد محتواه الزائف

في تلك الكلمة الرديئة المسماة: الظروف

التي تزدريها الروح المتحررة منها

إنها تتحكم بالزمان وتخضع المكان

وتخضع ذلك المحتال المتبجح الذي يدعى الحظ

وتخلع الظروف الظالمة المستبدة

عن عرشها وتجلسها في مقعد الخادم

إنها الإرادة الإنسانية، تلك القوة غير المرئية

نتاج الروح الخالدة

يمكنها أن تشق طريقاً لأي هدف

رغم اعتراض حواجز الصخر الصلد

لا تكن صبوراً على المماطلة

ولكن انتظر كشخص يفهم

فعندما تشرق شمس النفس وتأمر

يكون العالم كله مستعداً لإطاعتها

تأثير التفكير في الصحة والجسد

إن الجسد خادم للعقل، وهو يطيع عملياته، سواء اختيرت عن قصد أو تم التعبير عنها بشكل تلقائي. وباستدعاء الأفكار المحرمة ينحدر الجسد سريعاً نحو المرض والانحطاط، وتحت إمرة الأفكار البهيجة الحسنة يكتسي بالشباب والجمال.

> إن المرض والصحة، كالظروف تماماً، لها جذورها في الأفكار .

تعبر الأفكار المريضة عن نفسها من خلال جسد مريض. لقد عُرف عن أفكار الخوف قتلها للإنسان بسرعة الرصاصة، وهي تواصل قتلها لآلاف البشر بشكل مؤكد وسرعة أقل. والناس الذين يعيشون في خوف من المرض هم الذين يصابون به.

يفسد القلق الجسد كله بسرعة، ويتركه عرضة لدخول الأمراض، والأفكار الفاسدة للإنسان - حتى لو لم ينغمس فيها جسدياً - ستحطم الجهاز العصبي عاجلاً. فيما تزيد الأفكار الصحية النقية السعيدة، الجسدَ حيوية ورشاقة .فالجسد أداة رقيقة وطيعة تستجيب فوراً للأفكار المعرضة لها. وستفرز عادات التفكير تأثيراتها الخاصة، الجيدة منها والسيئة عليه.

سيواصل البشر امتلاك دماء غير نقية ومسمومة ما داموا عرضة للأفكار الفاسدة.

ينتج عن العقل النظيف حياة نظيفة وجسد نظيف، وينتج عن العقل غير النظيف حياة شائنة وجسد فاسد. إن الأفكار هي نبع الأفعال والحياة والتجلي، فاجعل النبع نقياً وسيكون كل شيء آخر نقياً.

لن يساعد تغيير الحميات الغذائية الإنسان الذي لن يغير معها أفكاره، فعندما يجعل الإنسان أفكاره نقية فلن يشتهي بعد ذلك الطعام غير الصحي.

تصنع الأفكار الصحية عادات صحية. والمتدين الذي لا يعتني بنظافته البدنية ليس متديناً. والشخص الذي يقوي وينقي أفكاره ليس بحاجة لأن يشغل باله بالميكروبات الخبيثة.

> إن أردت أن تصون جسدك فاحرس عقلك. إن أردت أن تجدد جسدك فجمل عقلك. فأفكار الحقد والحسد والخيبة والكآبة تسلب الجسد صحته ورشاقته .

لا يظهر الوجه البغيض مصادفة، فهو نتاج لأفكار بغيضة. تأتي تجعدات الوجه التي تشوهه من الحماقة والألم والعنجهية.

أعرف امرأة في السادسة والتسعين من عمرها تملك وجهاً مشرقاً بريئاً لفتاة صغيرة. وأعرف رجلاً صحيحاً دون الأربعين من العمر يملك وجهاً ذا خطوط متنافرة. فوجه الأولى محصلة لخصال طيبة ومتفائلة، ووجه الثاني محصلة للألم والسخط.

وكما أنك لا تستطيع امتلاك منزل رائع وصحي ما لم تسمح للهواء وأشعة الشمس بالدخول بحرية إلى غرفه، فكذلك الجسم القوي والوجه المشرق السعيد أو المطمئن؛ هو حصيلة للسماح بالدخول الحر لأفكار البهجة والارتياح والطمأنينة فقط، إلى العقل.

في الوجوه الهرمة هناك تجعدات ناتجة عن التعاطف، وأخرى ناتجة عن الأفكار القوية النقية، وثالثة محفورة بالألم، ومَن لا يستطيع التمييز بينها؟

تكون الشيخوخة، بالنسبة إلى أولئك الذين عاشوا بصلاح واستقامة، هادئة ومسالمة وناضجة بلطف كالشمس الغاربة.

شاهدت مؤخراً فيلسوفاً على فراش موته، لم يكن هرماً إلا في عمره، لقد مات بعذوبة وسلام، تماماً كما عاش.

ما من طبيب كالأفكار الشريفة لتبديد أمراض الجسد، وليس هناك شيء مريح أكثر من الود تجاه الآخرين لتشتيت ظلال الحزن والأسى وبعثرتها .

إن العيش المتواصل في أفكار المرض والتهكم والشك والحسد، يعني الحبس في سجن ضيق من صنع النفس. ولكن التفكير الطيب في كل شيء، والتعامل الشريف مع الجميع، والتعلم الصبور على إيجاد الخير في الجميع، إن أفكاراً غير أنانية كهذه هي البوابات الحقيقية للجنة. والاستقرار يوماً بعد يوم في أفكار السلام تجاه كل مخلوق ستجلب سلاماً حافلاً لأصحابها.

التفكير والأهداف (الغايات)

ما لم يتم ربط الفكرة بهدف وغاية محددين فلن يكون هنالك إنجاز ذكي .

من المسموح به لدى أغلب البشر انجراف القشرة الرقيقة للفكر في محيط الحياة. إن الحيرة وغياب الهدف رذيلة، وانجراف كهذا لا يجب أن يستمر بالنسبة إلى ذلك الإنسان الذي سيقود ويتحرك متحرراً من الإخفاق والهلاك.

يقع أولئك الذين ليس لهم غاية مركزية في حياتهم، فريسة سهلة للهموم الصغيرة والمخاوف والمشاكل والشفقة على الذات ، وهي كلها علامات على الضعف الذي يقود بشكل مؤكد، مثله مثل الخطايا المتعمدة - رغم اتخاذها لمسار مختلف -إلى الفشل والتعاسة والخسارة، لأن الضعف لا يمكنه الاستمرار في كون ناهض قوي.

يجب على الإنسان أن يحمل هدفاً مشروعاً في قلبه، ويشرع في إنجازه، وعليه أن يجعل هذا الهدف النقطة المركزية لأفكاره. قد يكون هذا الهدف أمراً روحياً أو غرضاً مادياً تبعاً لطبيعته في حينها، ولكن، وبغضِّ النظر عن ذلك، فعلى الإنسان أن يركز قوى تفكيره بثبات على ذلك الهدف الذي وضعه لنفسه، وأن يجعل ذلك الهدف واجبه الأسمى، وأن يكرس نفسه لتحقيقه، غير سامحٍ لأفكاره بالتجوال بعيداً في أوهامٍ وسرابات وتصورات عابرة.

إن هذا هو الطريق الملكي للتحكم بالذات والتركيز الحقيقي للأفكار.

وحتى لو فشل مراراً وتكراراً في إنجاز هدفه - وهو شيء لا بد منه بالضرورة إلى حين التغلب على الضعف - فإن القوة المتحصلة للشخصية ستكون هي المقياس الحقيقي لنجاحه، وهذا سيشكل نقطة بداية جديدة للقوة والانتصار في المستقبل.

وعلى أولئك غير المستعدين للهواجس والقلق الخاصين بالأهداف العظيمة أن يصححوا أفكارهم المتعلقة بأدائهم الصائب لواجباتهم، بغض النظر عما قد تبدو عليه مهامهم من تفاهة، فبهذه الطريقة فقط يمكن جمع الأفكار وتركيزها، وتطوير الطاقة والتصميم. وعند حصول ذلك، فما ثمة شيء قد لا يتم إنجازه.

تعرف أضعف الشخصيات بضعفها الذاتي، ولكن إيمانها بحقيقة أن القوة يمكن تطويرها فقط من خلال بذل الجهد والممارسة، سيجعلها تؤمن بأنه حالما تبدأ ببذل الجهد والعمل وإضافة المحاولة إلى المحاولة، والصبر إلى الصبر، والقوة إلى القوة، فإنها لن تتوقف أبداً عن التطور، وستنمو في النهاية لتصبح قوية روحياً.

وكما أن الرجل الضعيف بدنياً يمكن أن يجعل نفسه قوياً من خلال التمرين الصبور والمتأني، فكذلك يمكن أيضاً للإنسان صاحب الأفكار الضعيفة أن يجعل أفكاره قوية من خلال ممارسته للتفكير الصحيح.

يعني التخلي عن العشوائية - عدم وجود هدف - والضعفِ والبدءُ في التفكير الموجه نحو الأهداف، الدخولَ في صفوف أولئك الأقوياء الذين ينظرون للفشل كإحدى الطرائق الموصلة للإنجاز، وهم أولئك الذين يجعلون كل الظروف في خدمتهم، والذين يفكرون بشكل صحيح، ويجربون بلا خوف، وينجزون ببراعة.

ومن خلال تصوره لهدفه، يجب على الإنسان أن يتصور ذهنياً طريقاً مستقيماً لإنجازه دون التطلع يميناً ولا يساراً.

يجب أن يتم استبعاد الشكوك والمخاوف بصرامة، فهي عوامل مفككة تفكك الخط المستقيم للجهود وتجعله ملتوياً وغير فعال وعديم الفائدة.

لم تحقق أفكار الشك والخوف أي إنجاز، ولن تحققه أبداً؛ فهي تقود دائماً إلى الفشل. فيما يقوم وضع الأهداف والطاقة والقوة بعمل ذلك، وجميع الأفكار القوية تتوقف عندما تندس الشكوك والمخاوف.

تنبع إرادة القيام بشيء ما من معرفتنا بقدرتنا على القيام به. والشكوك والمخاوف هي أكبر أعداء هذه المعرفة، ويقوم الشخص الذي يشجعها ولا يفتك بها، بإحباط نفسه في كل خطوة. فيما يقوم الشخص الذي يدحر الشكوك والمخاوف بقهر الفشل؛ إذ ما دام فكره متحداً مع القوة فإنه يواجه كل المصاعب بشجاعة ويتغلب عليها بحكمة، فأهدافه قد أنبتت في أوانها، وهي تزهر وتعطي ثماراً لا تسقط على الأرض قبل أوانها.

يصبح الفكر المتحالف دون خوف مع الأهداف، قوة إبداعية، ومن يعرف ذلك يصبح شيئاً أعلى وأقوى من مجرد حزمة من الأفكار المرتبكة والأحاسيس المتقلبة، ومن يكون كذلك يصبح المستخدم البارع الذكي والواعي لقواه الذهنية.

دور عامل التفكير في تحقيق الإنجاز

إن كل ما أنجزه شخص ما، وكل ما فشل في إنجازه، هو نتيجة مباشرة لأفكاره. ففي كون منظم بشكل عادل كالكون الذي نعيش فيه، حيث فقدان التوازن يعني الدمار التام، ينبغي أن تكون المسؤولية الفردية مطلقة. فنقاط ضعف إنسان ما وقوته، وصلاحه وفساده، هي أمور تخصه هو ولا تخص شخصاً غيره، وقد جلبها هو لنفسه، ولم تأته بواسطة أحد آخر، ويمكنه هو وحده تغييرها، ويستحيل ذلك على غيره.

إن ظروفه هي أيضاً خاصته، وليست ملكاً لأي إنسانٍ آخر. معاناته وسعادته تنبع من داخله، وكما يفكر فكذلك هو يكون، وكما يواصل التفكير، فكذلك يبقى .

لا يمكن لإنسان قوي أن يساعد شخصاً ضعيفاً ما لم يكن ذلك الضعيف راغباً بالمساعدة، وحتى مع المساعدة فإن على الضعيف أن يصبح قوياً بنفسه، إذ يجب عليه بواسطة مجهوداته الخاصة، تنمية القوة التي تعجبه في الآخرين، فلا أحد سواه يمكن له تغيير ظروفه.

لقد كان من المعتاد بالنسبة إلى البشر أن يفكروا ويقولوا: "العديد من الناس عبيد لكونهم مضطهدين من قبل شخص مستبد، دعونا نكره هذا المستبد ."ولكن الآن هنالك بين الجموع قلة متزايدة تميل إلى عكس هذا الحكم، وتقول" :هنالك شخص مستبد بسبب وجود العديد من العبيد، دعونا نزدري العبيد."

في الحقيقة فإن كلاً من المستبد والعبيد متعاونون في الجهل، وفيما يبدو أن كل طرف منهما مبتلى بالآخر، فإن بلاءهم في الحقيقة هو في داخل أنفسهم.

تُدرك المعرفة المثالية كيفية عمل القانون في ضعف الأشخاص المُضطهَدين، وسوء استخدام القوة من قبل المُضطهِدين.

إن المحبة المطلقة، برؤيتها للمعاناة التي هي ميراث كلا الجانبين السابقين، لا تدين أياً منهما. والشفقة الحقيقية تتقبل كلاً من المضطهَد والمضطهِد. ولا ينتمي الإنسان الذي قهر ضعفه وتخلى عن كل الأفكار الأنانية، لكل من فئتي المضطهَدين والمضطهِدين؛ إنه إنسان حر.

يرتقي الإنسان وينتصر وينجز فقط من خلال سموه بأفكاره، ويمكنه أن يبقى ضعيفاً ومدقعاً وبائساً فقط من خلال رفضه للسمو بأفكاره .

يجب على الإنسان قبل أن يستطيع تحقيق أي شيء - وذلك حتى على مستوى الأمور المادية - أن يرتقي بأفكاره فوق مستوى الانغماس الغريزي الذليل. قد لا يتخلى عن كل غرائزه الوضيعة والأنانية، ولكن، ورغبة منه بالنجاح، يجب عليه بأي وسيلة كانت أن يضحي بجزء منها على الأقل.

لا يمكن للإنسان - الذي يعطي الأولوية الأولى في فكره للانغماس الغريزي - التفكير بوضوح أو التخطيط بشكل منهجي، ولن يكون بوسعه تطوير مصادره الكامنة، وسيفشل في تعهد أي عمل كان. وأيضاً فإن الإنسان الذي لم يبدأ بالتحكم بأفكاره بشجاعة وتصميم، لا يكون في موضع

التحكم بالمسائل وتبني المسؤوليات الخطيرة، إنه غير مهيأ للتصرف باستقلالية والوقوف وحيداً، وهذا القصور الذي هو فيه ناتج فقط عن الأفكار، أفكاره التي اختارها هو بنفسه.

لا يمكن أن يوجد تقدم ولا إنجاز بدون تضحية، والنجاح الدنيوي لشخص ما يقاس بمدى تضحيته بأفكاره الغريزية الباعثة على الإرباك والتشويش، وتركيزه لذهنه على تطوير خططه وتقوية عزمه وتصميمه واعتماده على ذاته. وكلما ارتقى بأفكاره أكثر، أصبح أكثر شجاعة واستقامة وصلاحاً، وكلما عظم حجم نجاحه، زادت بركة إنجازاته وديمومتها.

لا يساند الكون الإنسان الجشع غير الأمين الفاسد، على الرغم مما قد يبدو ظاهرياً أحياناً من مساندته له. إن الكون يساعد الإنسان الشريف الشهم المستقيم.

لقد صرح جميع عظماء التاريخ عن هذه الحقيقة بأشكال مختلفة، وعلى الإنسان كي يثبتها ويدرك معناها أن يواصل إصلاح نفسه من خلال ارتقائه بأفكاره.

إن الإنجازات الفكرية هي حصيلة الفكر المكرس للبحث عن المعرفة والجمال والحقيقة في الحياة والطبيعة. قد ترتبط بعض الإنجازات أحياناً بالزهو والطموح، ولكن هذه الإنجازات ليست محصلة لهذه الصفات، بل هي (عبارة عن (النمو الطبيعي للجهود الطويلة الصعبة وللأفكار العفيفة غير الأنانية.

ما الإنجازات الروحية إلا تحقق للتطلعات الروحية، فمن يعيش باستمرار وفقاً لتصورات الأفكار النبيلة السامية، ومن ينشغل بكل ما هو نقي وغير أناني، سيصبح يقيناً - كاليقين بوصول الشمس إلى أوجها والقمر إلى اكتماله - صاحب شخصية حكيمة ونبيلة، وسيرتقي إلى موقع التأثير والسعادة الخالدة.

ما الإنجاز، من أي نوع كان، إلا نتاج الاجتهاد وإكليل الفكر. وبمساعدة التحكم بالذات والتصميم والصفاء والاستقامة الأخلاقية والفكر الموجه بشكل جيد يرتقي الإنسان، وبمساعدة الغرائزية والكسل والبذاءة والفساد وتشوش الفكر ينحدر الإنسان.

قد يرتقي الإنسان إلى مستوى نجاح عال في العالم المادي، وقد يرتقي إلى ذرا شامخة في العالم الروحي، وينحدر ثانية إلى الضعف والبؤس بسماحه لأفكار التكبر والأنانية والفساد أن تتملكه.

يمكن - عن طريق اليقظة والانتباه - المحافظة على الانتصارات المحققة بالفكر الصحيح، وإلا فإن الكثيرين يتراجعون عندما يكون النجاح مضموناً، ويرتدون بسرعة إلى الفشل.

إن جميع الإنجازات التي هي بالتأكيد حصيلة للفكر الموجه، سواء في مجال الأعمال أو الثقافة أو العالم الروحي، محكومة بنفس القانون والمنهاج، والاختلاف الوحيد يكمن في الغرض من الإنجاز (أي ما الهدف من تحقيق هذا الإنجاز؟.(

إن على من يرغب بتحقيق القليل أن يضحي بالقليل، وعلى من يرغب بتحقيق الكثير أن يضحي بالكثير، وعلى من يرغب بتحقيق إنجازات عظيمة أن يضحى بالغالى والنفيس .

الرؤى والمثل العليا

الحالمون هم مخلصو هذا العالم. وكما تتم تغذية العالم المرئي ومساندته من قبل اللامرئي، فكذلك البشر في كل تجاربهم وخطاياهم ومهنهم السيئة، ينتعشون بالرؤى الجميلة للحالمين المتفردين بينهم.

لا يمكن للإنسانية أن تنسى أصحاب الأحلام فيها، ولا يمكن أن تسمح لغاياتهم بأن تذبل وتموت؛ فهي تعيش بهم، إنها تعرفهم على أنهم الحقائق التي سوف تُرى وتُعرف ذات يوم.

الملحنون والنحاتون والرسامون والشعراء والحكماء والمتنورون دينياً، هؤلاء هم صناع عالم الغيب، ومهندسو العالم المثالي. إن العالم جميل لأنهم عاشوا فيه، ولولا وجودهم، لماتت الإنسانية الكادحة.

ذاك الذي يتعلق برؤية جميلة، وهدف نبيل في قلبه، سوف يحققه يوماً ما .لقد تعلق كولومبوس برؤية لعالم آخر وقام باكتشافه، وتبنى كوبرنيكوس رؤية لعوالم متعددة وكون أوسع، وكشف عن وجودها، وامتلك الأنبياء كلهم رؤى لعالم روحي ذي جمال رائع وسلام تام وقاموا بتقديمها لنا.

تعلق برؤاك، تعلق بأهدافك، تعلق بالموسيقا التي تضج في قلبك، وبالجمال الذي يتشكل في ذهنك، وبالفتنة التي تكسو أطهر أفكارك؛ فمنها ستنشأ كل الظروف السارة، وأجواء البهجة، وإن بقيت صادقاً معها فسيشاد عالمك في النهاية.

أن ترغب يعني أن تحصل على ما تتمناه، وأن تطمح يعني أن تحقق ما تطمح إليه. فهل من المعقول أن تلقى أحقر رغبات الإنسان الحد الأعلى من الرضا والإشباع، فيما تعاني تطلعاته الأسمى الحرمان لافتقادها الدعم والمساندة؟ ليس هذا هو القانون. حالة كهذه لا يمكن لها أبداً أن تحقق القانون: (اطلب وسوف تُعطى)

احلم بأحلام نبيلة، وستصبح أحوالك كأحلامك؛ فالرؤية التي تملكها هي وعد بما سوف تصبح عليه يوماً ما، وغاياتك هي نبوءة بما سوف تحققه في النهاية.

إن أعظم الإنجازات كان، بدايةً ولفترة من الزمن، مجرد حلم. ينام السنديان في بذرته، وتنتظر الطيور داخل البيض، ومن أسمى رؤى الروح ينشط ملاك ناهض.

إن الأحلام هي بذور الحقائق .

قد تكون ظروفك غير مناسبة، ولكنها لن تبقى كذلك إن امتلكت غاية وكافحت لتحقيقها.

لا يمكنك أن تسافر داخلياً وتقف جامداً في الخارج. ههنا شاب معرض لضغط شديد من قبل الفقر والعمل، فهو مقيد بساعات عمل طويلة في ورشة غير صحية، وهو غير متعلم، ويفتقد جميع فنون التفكير الدقيق؛ ولكنه يحلم بأفضل الأشياء. إنه يفكر بالعقل، والتهذيب والنعمة والجمال. إنه يحلم، بشكل مدعوم ذهنياً، بحياة مثالية، برؤية لحرية أوسع، ومنظور أوسع تستحوذ عليه.

لقد دفعه تقلقله هذا إلى العمل، فاستثمر كل أوقات فراغه، وكل الوسائل التي بين يديه - رغم محدوديتها - لتطوير قواه ومصادره الكامنة. وسريعاً جداً، ونتيجة للتغيير الذي طرأ على ذهنه،

لم تعد الورشة تستطيع احتواءه؛ لقد أصبحت غاية في عدم الانسجام مع عقليته، بحيث إنها سقطت خارج حياته كما يُطرح الثوب جانباً.

وبالنمو المتزايد للفرص التي تلائم منظور قواه المتنامية باضطراد، فلقد غادر تلك الورشة إلى الأبد. وبعد سنوات عديدة تالية رأينا ذلك الشاب رجلاً ناضجاً، ووجدناه أستاذاً خبيراً في بعض القوى الذهنية الخاصة، والتي استخدمها ببراعة لامتلاك تأثير عالمي وقوى شبه خارقة، وهو يمسك بقبضة يديه بروابط مسؤوليات عظام. إنه يخطب في الناس، فتتغير حياتهم، يتشبث الرجال والنساء بكلماته ويعيدون قولبة شخصياتهم، وكالشمس أصبح المركز الثابت والمضيء الذي تدور في فلكه مصائر لا حصر لها. لقد حقق رؤية شبابه، ووصل إلى غايته المنشودة.

وأنت أيضاً أيها القارئ الشاب، سوف تحقق رؤى قلبك (ولا نعني بها الأمنيات الكسولة)، وذلك سواء أكانت هذه الرؤى رديئة أم جميلة، أو مزيجاً من الاثنين معاً، ذلك أنك سوف تنجذب دائماً تجاه أكثر ما تحبه - خفية - من أشياء، وسيوضع بين يديك النتائج المطابقة تماماً لأفكارك الخاصة، سوف تتلقى ما تستحقه فقط، لا أكثر، ولا أقل . وبغض النظر عن ماهية ظروفك الحالية، فسوف تسقط، أو تحافظ على وضعك الحالي، أو ترتقي، بواسطة أفكارك، ورؤاك، وغاياتك. ستصبح صغيراً بقدر صغر شهواتك، أو عظيماً بقدر عظمة طموحك المهيمن عليك. أو كما عبر عن ذلك (سانتون ديفيس) بكلماته الجميلة: "لعلك تمتلك قيماً ومعتقدات، ولكن الآن يجب عليك أن تخطو خارجاً من الباب الذي بدا لك حتى الآن حاجزاً يفصلك عن قيمك المثلى، وعندها ستجد نفسك أمام جمهور المستمعين، والقلم ما يزال خلف أذنك، والحبر يلطخ أصابعك، وبين الفينة والأخرى ينبثق فيض إلهامك. قد تكون راعياً لمجموعة خراف، تهيم على وجهك إلى مدينة الرعاة والمشدوهين، وستهيم بتوجيه جسور من الروح إلى مرسم المعلم الأستاذ، وبعد بعض الوقت سوف يقول لك: ليس لدي المزيد لأعلمك إياه.

والآن فقد أصبحت الأستاذ، الذي حلم منذ فترة قصيرة بأمور عظيمة فيما هو يقود الخراف، وستستلقي تحت المنشار والمسحاج[3]لتلقي على عاتقك مهمة إعادة انبعاث العالم."

لا يرى الطائش، والجاهل، والمتبطل، إلا النتائج المرئية للأشياء، لا الأشياء ذاتها. فيتكلمون على الحظ وحسن الطالع والمصادفات. يرون رجلاً يزداد ثراءً فيقولون: "كم هو محظوظ!"، ويرقبون آخر يصبح مفكراً فيصيحون" :يا لشدة التحيز له" ويلاحظون الصفات الورعة والتأثير الواسع لثالث ويعلقون: "كم ساعده الحظ عند كل زاوية". إنهم لا يرون المحاولات والفشل والصراعات التي واجهها هؤلاء الرجال عن طيب خاطر لاكتساب خبراتهم، وليس لديهم معرفة بالتضحيات التي قدموها، ولا بالجهود الشجاعة التي بذلوها، ولا بالإيمان الذي مارسوه، عسى أن يتغلبوا على ما بدا أمراً تعجيزياً غير قابل للقهر، وتحقيق الرؤية الخاصة بقلوبهم. إنهم (أي الطائشون والجهلة والمتبطلون) لا يعرفون الظلمة والأحزان، هم فقط يرون النور والسعادة، ويلقبونه بـ "حسن الطالع". إنهم لا يرون الرحلة الطويلة الشاقة، ولكنهم يبصرون فقط الغاية السارة، ويدعون ذلك بـ "الحظ الطيب"، إنهم لا يفهمون سلسلة الخطوات والإجراءات والأفعال التي تم اتخاذها، ولكنهم يلاحظون فقط النتيجة، ويسمونها "مصادفة."

في جميع مساعي الإنسان التجارية والمهنية هنالك مجهود يبذل، وهنالك نتائج، ومقدار قوة هذه الجهود - وليس الحظ - هو مقياس للنتائج المكتسبة. إن المكتسبات سواء أكانت مواهبَ أو قوىً أو موادَّ أو فكراً أو مكتسباتٍ روحية، ما هي إلا ثمار الجهود، إنها أفكار تم إكمالها، وأهداف تم إنجازها، ورؤى تم تحقيقها.

إن الرؤية التي تُقدسها في عقلك، والغاية المثلى التي تُمجدها في قلبك، هي ما سوف تبني حياتك بواسطتها، وهي ما سوف تصبحه .

الصفاء

إن سكون العقل واستقراره هو أحد الجواهر الجميلة للحكمة. وهو حصيلة للجهود الطويلة الصبورة في مجال التحكم بالنفس. ووجوده دلالة على تجربة ناضجة، ومعرفة فوق عادية بقوانين التفكير وآلياته.

يصبح الإنسان هادئاً وفقاً لمقياس يفهم فيه نفسه على أنه كائن ناشئ عن فكر، لأن مثل هذه المعرفة تحتم عليه فهم الآخرين على أنهم حصيلة للفكر، وفيما هو يطور فهماً صحيحاً، ويرى بوضوح متزايد أكثر فأكثر العلاقات الداخلية بين الأشياء من خلال فعل السبب والنتيجة، فإنه يتوقف عن الصخب والغضب والقلق والجشع، ويبقى متزناً رابط الجأش مطمئناً.

إن الإنسان الهادئ المستقر، وقد تعلَّمَ كيف يحكم نفسه، يعرف كيف يؤقلم نفسه مع الآخرين، وهم في المقابل، يحترمون قوته الروحية، ويشعرون بمقدرتهم على التعلم منه والاعتماد عليه. وكلما أصبح الإنسان أكثر هدوءاً واطمئناناً، كان نجاحه أكبر، وقوته وتأثيره في سبيل الخير أعظم. حتى التاجر العادي سيجد ازدهار عمله يتزايد فيما هو يطور تحكماً أكبر في النفس ورباطة جأشه، ذلك أن الناس سوف يفضلون دائماً التعامل مع الرجل صاحب السلوك الرصين.

إن الإنسان القوي الهادئ محبوب وموقر دائماً، إنه كالشجرة وافرة الظلال في أرض قاحلة، أو الصخرة الحامية في العاصفة. من الذي لا يحب امتلاك القلب الهادئ والحياة المتوازنة حلوة الطباع؟ لا يهم أن تكون السماء ممطرة أو مشرقة، ولا يهم أية تغيرات تواجه أولئك الذين يحوزون هذه النعم، لأنهم سيكونون دائماً لطفاء مطمئنين وهادئين. ذلك التوازن الأنيق للشخصية، والذي ندعوه بالصفاء هو الدرس الأخير الواجب ازدراعه، وهو ثمرة الروح. إنه ثمين كالحكمة، ويجب تقديره أكثر من الذهب، بل وحتى أكثر من الذهب الخالص. كم يبدو السعي نحو النقود المجردة تافهاً مقارنة بالسعي نحو الحياة المطمئنة، حياة تقيم في محيط الصدق، تحت الأمواج، فيما وراء قدرة العواصف على الوصول، في هدوء وسكون أبدي.

كم عدد الأشخاص الذين نعرفهم ممن يفسدون حياتهم، ويخربون كل ما هو حلو وجميل فيها بالانفعالات المتفجرة، ويدمرون اتزان شخصياتهم، ويلوثون دماءهم!؟ أليست الأغلبية العظمى للبشر لا تتحكم بحياتها وتفسد سعادتها نتيجة نقص التحكم بالذات؟ ما أقلَّ عدد الأشخاص الذين نصادفهم في الحياة ممن هم متزنون بشكل جيد، ويملكون ذلك الاتزان الأنيق، الذي هو سمة الشخصية الكاملة.

إن الإنسانية تندفع بعاطفة منفلتة، يهيجها جشع غير متحكَّم به، وينفخ فيها توتر وشك، ووحده الإنسان الحكيم، ذلك الذي أفكاره تحت السيطرة والاصطفاء، يجعل رياح الروح وعواصفها تطيعه.

إن الأرواح التي محصتها العواصف، وبغض النظر عن موقعها، وتحت أي ظروف تعيش، تعرف التالي: في محيط الحياة تبتسم لك جزر السعادة وتنتظر الشواطئ المشمسة لغاياتك العليا وصولَك. فأبق يديك محكمة على مقبض التفكير.

ففي القلب من روحك يتكئ السيد الآمر، إنه هناك ولكنه نائم، أيقظه.

إن التحكم بالنفس قوة، والتفكير الصحيح براعة، وهدوء النفس قدرة. فلتدعُ من أعماق قلبك: ليصاحبك السلام.

جيمس آلان

درب الـغنى

ترجمة

جانبوت وليد حافظ

مقدمة

نظرت في العالم من حولي فرأيته متَّشحاً بظلال الحزن، تحرقه رياح المعاناة. بحثت عن السبب.
نظرت من حولي فلم أجده، بحثت في الكتب فلم أجده، بحثت في نفسي فوجدت السبب فيها،
ووجدتُ الطبيعةَ الذاتية لهذا السبب. ونظرت مرةً أخرى وتعمقت أكثر فوجدت ما يشفيه.

وجدت قانوناً واحداً، هو قانون الحب، وحياةً واحدة، هي حياة التكيف مع هذا القانون، وحقيقةً
واحدة هي حقيقة الذهن المغلوب والقلب الهادئ المطيع .حلمت بتأليف كتاب يفيد الناس رجالاً
ونساء، سواء كانوا أغنياء أم فقراء، متعلمين أم غير متعلمين، متعلقين بالدنيا أم غير متعلقين بها،
ليجدوا في أنفسهم مصدر كل النجاح، وكل السعادة، وكل الإنجازات، وكل الحقيقة. بقي هذا الحلم
يرافقني حتى تجسد في النهاية كتاباً، وها أنا ذا أنشره في العالم اليوم ليؤدي مهمته في تقديم
الدواء والبركة، عارفاً أنه لن يخفق في الوصول إلى بيوت من ينتظرونه ومن تحضَّروا له وإلى
قلوبهم.

جيمس آلان

الفصل الأول

درس عن الشيطان

القلق والألم والحزن هي ظلال الحياة، وليس هناك قلبٌ في العالم لم يشعر بلسعة الألم، ولا ذهنٌ لم يتخبط في ظلمة أمواج القلق، ولا عين لم تذرف دموعاً محرقةً من أسىً لا يوصف.

ليس هناك منزلٌ لم يدخله المدمِّران العظيمان المرض والموت، ليمزقا القلوب ويلقيا بالظلال السوداء للحزن.

وفي شِباك الشيطان التي تبدو منيعةً يسقط أبناء البشر بدرجات متفاوتةٍ ليعيشوا مع الألم والتعاسة وسوء الحظ.

يندفع الرجال والنساء في محاولةٍ منهم للإفلات من هذه الكآبة المخيمة اندفاعاً أعمى يستعينون بوسائل لا تحصى، ويسيرون في دروب يأملون في أعماقهم أن يجدوا في نهايتها سعادةً تدوم.

هذا ما يصنع السكِّير والمومس اللَّذان ينشدان اللذة الحسية، وكذلك هو المولع بالجمال الذي يغلق بابه في وجه أحزان العالم، ويحيط نفسه بالرفاهيات الموهِنة، وكذلك هو من تشتد رغبته في الثروة أو الشهرة وينسى كل شيء آخر في طريقه إلى تحقيق هذا الهدف، وكذلك هم من يبحثون عن العزاء في تأدية الطقوس.

وحين يبدو أن السعادة المشتهاة آتيةٌ، تنخدع الروح لفترةٍ بالأمان الحلو الذي يُسكرها فتذهَل عن وجود الشيطان. لكن حين يأتي المرض في النهاية أو حزنٌ عظيم أو إغراء أو حظٌّ عاثر ليقتحم الروحَ غير المحصنة فجأةً، يتمزق النسيج الهش للسعادة المتخيلة.

يطوف سيف ديموكلين4محملاً بالألم إذن فوق كل فرحةٍ شخصية، متأهباً ليسقط في أية لحظةٍ، ويسحق الروح غير المحمية بالمعرفة.

يبكي الطفل ليصبح رجلاً أو امرأة، ويتنهد الرجل والمرأة حسرةً على بهجة الطفولة. يغضب الفقير من نير الفقر الذي يقيده، وغالباً ما يعاني الثري خوفاً مستمراً من الفقر، أو يطوف العالم بحثاً عن ظلٍّ زائف يسميه السعادة.

تشعر الروح أحياناً بأنها وجدت مكاناً آمناً من السلام والسعادة في تبنِّيها لعقيدةٍ معينة، أو في اعتناق مذهب فلسفي، أو في بناء مثاليات فكريةٍ أو فنية، لكن بعض الإغراءات القوية تثبت أحياناً عدم كفاية العقيدة، وعدم جدوى الفلسفة النظرية، أو ينظر المثالي الذي نذر جهد حياته لمثاليته ليرى تمثاله المثالي منهاراً تحت قدميه.

أليس من مفرٍّ، إذن، من الحزن والألم؟ أليس هناك وسيلةٌ تكسر قيود الشر؟ هل السعادة الدائمة، والرغد الآمن والسلام المستمر ليس إلا أحلاماً حمقاء؟

لا. هناك طريقة لقتل الشيطان إلى الأبد، وأقول هذا سعيداً. وهناك عمليةٌ يمكن من خلالها التخلص من المرض، والفقر، ومن أي محنةٍ بحيث لا تعود للظهور مرةً أخرى، وهناك أسلوبٌ يحقق للإنسان الرغد الدائم متحرراً من الخوف من عودة المحن، وممارسةٌ تُدخل في حياتك سلاماً لا يتزعزع ولا ينتهي، ونعيماً من البركة.

بداية الطريق المؤدية إلى هذا التجسد العظيم هي الفهم الصحيح لطبيعة الشيطان. فليس كافياً إنكاره وتجاهله، ولا يكفي أن تصلي لربك ليخلصك منه، بل إن عليك أن تجد سبب ظهوره في حياتك، وما الدروس التي يحملها لك.

لا جدوى من الاستياء والامتعاض والسخط من القيود التي تقيدك، بل عليك أن تعرف لماذا وكيف تقيدك؟ لذا عليك أيها القارئ أن تخرج من نفسك وأن تبدأ بتفحصها وفهمها.

عليك التوقف عن بقائك طفلاً متمرداً في مدرسة الخبرة، وأن تبدأ بتواضع وصبر بتعلم الدروس التي وضعت لتثقيفك، وتقريبك من الكمال؛ لأنك عندما تفهم الشيطان جيداً ستدرك أنه لم يُخلق ليكون قوةً غير محدودةٍ أو سائداً في الكون، إنما هو مرحلةٌ عابرة في تجربة الإنسان، وهو من ثم معلمٌ لمن ينوون التعلم منه.

ليس الشيطان شيئاً مجرداً خارجك، إنما هو تجربةٌ تعيشها في قلبك، ومن خلال تفحُّصهِ بصبرٍ وتنقيةِ قلبك ستقود نفسك بالتدريج إلى اكتشاف أصل الشيطان وطبيعته، وسيتبع هذا بالضرورة التخلص منه تماماً.

كل شيطانٍ هو بمعنى ما مُصلحٌ ومعالِج، وهو من ثم ليس دائماً. إنه متجذرٌ في الجهل، الجهل بالطبيعة الحقيقية للأشياء والعلاقة بينها، ومادمنا في حالة الجهل تلك فسنبقى مستَهدفين من قبله.

ليس من شيطانٍ في الكون كله إلا وتأثيره نتيجةٌ للجهل، ويقودنا في النهاية - إن كنا مهيئين ونعتزم أن نتعلم من تجاربنا معه - إلى مستوىً أعلى من الحكمة ليزول من حياتنا. لكن الناس تبقى حبيسة شياطينها التي لا تتركها؛ لأنهم لا يعتزمون التعلم من الدروس التي أتى يعلمهم إياها، أو هم غير مهيئين بعد.

عرفت طفلاً اعتاد البكاء كل ليلة حين تأخذه أمه لتضعه في الفراش طالباً منها أن تسمح له باللعب بالشموع، وفي إحدى الليالي وفيما أمه مشغولة عنه انتهز الفرصة ليمسك بشمعة قريبة منه، وحدث ما كانت تخشاه أمه، ولم يعد الطفل إلى تمني اللعب بالشموع مرةً أخرى.

تعلم الطفل من فعلٍ أحمق واحد، وتعلم درساً جيداً في الطاعة، وأضاف إلى معارفه أن النار تحرق. هذه الحادثة توضيح كامل لطبيعة كل الخطايا والشرور ومعناها ونتائجها.

كما عانى الطفل بسبب جهله للطبيعة الحقيقية للنار، كذلك يفعل الأطفال الأكبر عمراً بسبب جهلهم للطبيعة الحقيقية للأشياء التي ينتحبون من أجلها ويلهثون وراءها، والتي تؤذيهم عندما يحصلون عليها. الفرق الوحيد في الحالة الثانية هو أن الجهل بالشيطان أكثر تجذراً وعمقاً وإبهاماً.

استُخدمَ للشر دائماً رمزُ الظلمة، واستخدم النور للخير، ونجد ضمن هذا الرمز تفسيراً مثالياً للواقع؛ لأنه ما إن يغمر النور الكونَ حتى لا تعود الظلمةُ أكثر من بقعةٍ أو ظلٍّ يشكِّله جسم صغير يحتجز بعض أشعة الضوء غير المحدود، نور الربِّ إذن هو الإيجابي والقوةُ المانحة للحياة والذي يغمر الكون، أما الشيطان فهو ظلٌّ غير مهمٍّ يتشكل من النفس التي تعترض الضوء وتحتجز بعضاً من أشعته المنيرة التي تستمر بالبحث عن مدخل.

عندما يغمر الليل العالم بستارٍ أسود لا يُخترق، وبغض النظر عن حلكة الظلمة، فهي تغطي جزءاً صغيراً من نصف كوكبنا الصغير، في حين أن الكون كله يتَّقدُ نوراً حياً، وتعرف كل روحٍ أنها ستستيقظ في ضوء الصباح التالي.

فلتعلم إذن حين يخيم سواد ليل الحزن والألم والحظ العاثر على روحك، وعندما تتعثر بخطواتك المتعبة غير الواثقة، بأنك تضع حاجزاً من رغباتك الشخصية يمنع عنك النور اللامحدود للفرح والبركة، واعلم أن ظلَّ العتمةِ الذي يغطيك ليس إلا ظلَّكَ أنت.

وكما أن العتمة في الخارج ليست إلا ظلاً سلبياً، غير حقيقي لا يأتي من مكان ولا يذهب إلى أي مكان، ولا يملك مكاناً يعيش فيه، كذلك العتمة في داخلك ظل سلبي يعبر فوق الروح المولودة من النور.

أتخيل أحدهم يقول: "لكن، لماذا المرور في ظلمة الشيطان أساساً؟" بسبب الجهل. لقد اخترت هذا، ولأنك من خلال قيامك بهذا ربما تفهم الخير والشر، وربما تقدِّر النور أكثر بعد مرورك في الظلمة.

لأن الشر نتيجة مباشرة للجهل، فإنك عندما تتعلم دروسه تماماً، ينتهي الجهل، وتحل الحكمة محله. لكن، وكما يرفض الطفل المتمرد أن يتعلم في المدرسة، من الممكن أن ترفضَ تعلُّم الدروس من التجارب، لتبقى بالنتيجة في ظلمةٍ دائمة، وتعاني باستمرار الأشكال المختلفة للعقاب سواء المرض أو خيبة الأمل، أوالحزن.

لذلك يجب على من يريد أن يحرر نفسه من الشيطان الذي يتلبَّسه أن يعتزم التعلم، وأن يتحضر للمرور بعملية التهذيب التي لا يمكن الحصول على بذور الحكمة والسعادة الدائمة والسلام من دونها.

ربما يعزل الإنسان نفسه في غرفة مظلمةٍ، وينكر وجود الضوء، لكن الضوء يبقى في كل مكان خارج هذه الغرفة، ولا توجد الظلمة إلا في غرفته الصغيرة هذه.

ويمكنك أن تسدَّ الطريق في وجه نور الحقيقة، أو أن تبدأ بهدم الجدران التي بنيتها حول نفسك من التحاملِ والسعي إلى إرضاء الذات والخطأ، لتفسح المجال للنور المجيد الموجود في كل مكان.

اعمل جاهداً، من خلال المراقبة النزيهة للذات، وليس بمجرد التمسك بالنظريات فقط، على إدراك أن الشيطان ليس إلا مرحلةً عابرة، وظلاً مخلوقاً ذاتياً، وأن كل آلامك وأحزانك وتعثُّر حظِّك وصلت إليك من خلال عمليةٍ خاضعة لقانون مثالي تماماً وغير منحاز، وأنها وصلت إليك لأنك تستحقها وتحتاج إليها، وأنك من خلال تحمُّلها أولاً ومن ثمَّ فهمها تصبح أكثر قوةً وحكمةً ونبلاً.

عندما تصل إلى الإدراك التام لهذا تصبح في موقع يخوِّلك أن تصنع ظروفك، وأن تحول كل شر إلى خير، وأن تحيكَ نسيجَ قدرك بيدٍ ماهرة.

ماذا عن الليل أيها الحارس. ألم تره بعد؟!

ذلك الفجر المتألق على أعالي الجبال

المبشر الذهبي بنور الأنوار

هل وضع قدميه اللطيفتين على رؤوس التلال؟

ألم يأتِ بعد ليطارد الكآبة

ويطارد معها كل شياطين الليل؟

ألم يطلق سهام أشعته إلى عينيك؟

ألا تسمع صوته، صوت فناء الخطايا؟

أتى الصباح يا محبَّ الضوء

يلون بالذهب سفوح الجبال

أرى بلا وضوح الدرب الذي يسير عليه الآن

بقدميه المتألقتين ملاحقاً ظلمة الليل.

ستزول العتمةُ وكل الأشياء

التي تحب العتمة وتكره الضياء

ستختفي إلى الأبد مع اختفاء الليل

ابتهج!

واستمع إلى أغنية هذا البشير وهي تتعالى.

الفصل الثاني

العالم انعكاس للحالة الذهنية

كما أنتَ كذلك عالمُك. يتحول كل شيء في الكون بما يتلاءم مع تجربتك الداخلية. فما في الخارج قليل الأهمية؛ لأنه ليس أكثر من انعكاس لحالة وعيك أنت.

كل الأهمية لما أنت عليه في الداخل؛ لأن كل شيء في الخارج ستنعكس صورته ويتم تلوينه من جديد وفقاً لهذا الداخل.

كل معارفك محتواةٌ ضمن تجربتك الخاصة، وكل ما ستعرفه لا بد له من المرور عبر بوابة الوعي، ليصبح جزءاً من نفسك.

يتشكل عالمك من أفكارك ورغباتك وطموحاتك، وهي بالنسبة إليك كل ما في الكون من جمال وفرح ونعمة، أو هي كل البشاعة والحزن والألم.

تبني حياتك أو تفسدها من خلال أفكارك، وكذلك تبني العالم والكون من حولك. ففي أثناء بنائك لقوة أفكارك في داخلك، كذلك تصوغ الظروف الخارجية في حياتك نفسها بما يتوافق مع هذه الأفكار.

مهما يكن ما تحمله في أعماق قلبك، فإنه لا بد أن يظهر في حياتك الخارجية، وذلك بفعل القانون المحتوم لرد الفعل.

تنجذب الروح غير النقية والدنيئة والأنانية بدقة متناهيةٍ إلى الكوارث والشؤم، أما الروح النقية غير الأنانية والنبيلة فهي تجذب إليها بدقة مساويةٍ السعادة والرخاء.

تجذب كل روح ما يماثلها، ولايمكن أن يأتيها إلا ما ينتمي إليها. حين تدرك هذا تفهم كونية القانون الإلهي.

إن أحداث كل حياة، سواء التي تبنيها أم التي تفسدها، قد انجذبت إلى هذه الحياة نتيجة نوعية الأفكار الداخلية عن الحياة وقوة هذه الأفكار، وليس الجسد بأكثر من وسيلة لتجسيد هذه الأفكار.

أفكارك إذن هي ذاتك الحقيقية، والعالم من حولك، سواء عالم الجماد أو العالم الحي، يلبس الثياب التي تُلبسه إياها أفكارك.

"كل ما نحن عليه اليوم هو نتيجة ما فكرنا فيه أمس."

العالم مبني على أفكارنا، وهو مصنوع منها، هكذا قال بوذا، وهو يستوجب أنه إذا كان الشخص سعيداً فلأنه يحمل أفكاراً سعيدة، وإن كان بائساً فلأنه يحمل أفكاراً كئيبةً وموهنةً للعزيمة.

سواء كان الإنسان خوافاً أو لا يعرف الخوف، أحمقَ أو حكيماً، مضطرباً أو صافياً، ففي تلك الروح يكمن السبب في حالتها الخاصة بها، وليس في الخارج بتاتاً. ويبدو أنني أسمع من جديد

أصواتاً تقول: "لكن هل تعني حقاً أن تقول إن الظروف الخارجية لا تؤثر في أذهاننا؟" لا أقول هذا، إنما أقول وأعرف أنها حقيقة لا تقبل الجدل، أن الظروف لا يمكنها أن تؤثر فيك إلا بقدر ما تسمح لها بهذا.

تتأرجح مع الظروف؛ لأنك لم تصل بعدُ إلى فهمٍ صحيح لطبيعة الفكرة واستخدامها وقوتها.

تعتقد (وتتعلق بكلمة المعتقد هذه كل أحزاننا وأفراحنا) أن الأشياء الخارجية تملك القوة لصنع حياتك أو إفسادها، وأنت من خلال هذا تسلِّم أمرك لهذه الأشياء الخارجية معترفاً بأنك عبدٌ لها، وأنها السيد المطلق، وتقوم بهذا بتغذيتها بقوةٍ لا تملكها بذاتها. وتستسلم في الواقع ليس فقط للظروف، بل للكآبة أو السعادة، الخوف أو الأمل، القوة أو الضعف الذي دارت أفكارك في مدارها.

عرفتُ رجلين فقدا في عمر مبكر ما تعبا في جمعه لسنوات، شعر أحدهما باضطراب شديد وأتاح المجال للكدر والقلق والقنوط.

أما الآخر وعندما قرأ في صحيفة الصباح أن المصرف الذي أودع فيه نقوده كلها قد أفلس وأنه فقد ماله كله، قال بهدوء: "حسناً لقد خسرت مالي، ولن يعيده القلق أو الاضطراب، إنما العمل."

ذهب إلى العمل بهمةٍ متجددة وسرعان ما استعاد ما خسره، في حين أن الرجل الآخر الذي استمر بالتحسر لخسارته المال، والتذمر من (حظه السيئ (تحول إلى ألعوبة وأداة في يد الظروف السيئة، وهذا في الحقيقة بسبب تفكيره في ضعفه وعبوديته للظروف.

كانت خسارة المال لعنةً بالنسبة إلى أحد الرجلين؛ لأنه ألبس الحدث أفكاراً سوداء موحشة، في حين كانت نعمةً بالنسبة إلى الرجل الآخر؛ لأنه أحاطها بأفكار القوة والأمل والمبادرة المتجددة.

لو امتلكتِ الظروفُ فعلاً القدرة على أن تضـرَّ أو تنعِم، لكانت لعنت و باركت الجميع بالقدر نفسه. لكن حقيقةَ أن الظروف نفسها تفسَّر على أنها جيدة وسيئة باختلاف الأرواح التي تراها، تثبت أن الخير أو الشر ليس الظروف ذاتها، إنما هو في ذهن من يواجه هذه الظروف.

عندما تبدأ بإدراك هذا تبدأ بالسيطرة على أفكارك، وتبدأ بتنظيم ذهنك وضبطه، وتعيد بناء الهيكل الداخلي لروحك مستبعداً كل المواد العقيمة وعديمة الجدوى، لتتبنى في وجودك أفكار الفرح والصفاء وحدها، وقوة الحياة، وأفكار التعاطف والجمال والخلود. وعندما تفعل هذا ستتحول شخصاً فرحاً صافياً وقوياً وسليماً ومتعاطفاً ومحباً وجميلاً بجمال الخلود.

عندما نُـلبس الأحداث لباساً من أفكارنا، كذلك فإننا نلبس الأشياء في العالم المرئي من حولنا، وفي حين يرى أحدنا التناغم والجمال يرى الآخر البشاعة المقززة.

كان أحد علماء الطبيعة يتجول يوماً في الريف كما هي هوايته، وفي أثناء سيره وصل إلى بركة من الماء الآسن بقرب إحدى المزارع. وعندما اقترب ليملأ قارورةً صغيرة بالماء ليفحصها تحت المجهر بالغ في حماسته أكثر من حذره وهو يحيي ابن الفلاح غير المتعلم الواقف قريباً منه، بين العجائب التي لا تحصى في البركة، وصاح به قائلاً: "نعم ياصديقي. في هذه البركة المئات بل الآلاف من الأكوان الصغيرة التي لا نملك الحاسة ولا الأداة التي تمكِّننا من فهمها". فأجاب الطفل غير المتعلم بفتور: "أعرف أن البركة تعجُّ بالشراغيف لكن هذه يسهل الإمساك بها."

في حين رأى العالِم الذي امتلأ رأسه بالمعارف وحقائق الطبيعة الجمالَ والتناغمَ واللطفَ الخفي، لم يرَ الذهن غير المتنور إلا بركة وحلٍ كريهة.

الزهرة البرية التي يدوسها العابر دون تفكير، هي بالنسبة إلى العين الروحانية للشاعر رسولٌ ملائكي من الغيب. وليس المحيط بالنسبة إلى كثيرين بأكثر من امتداد هائل من الماء تبحر عليه السفن وتغرق أحياناً، أما بالنسبة إلى روح الموسيقي فهو حـيٌّ، يسمع في تقلبات أمزجته أنغاماً سماوية.

في حين يرى الذهن العادي الكارثة والاضطراب، يرى ذهن الفيلسوف التتابعَ المثالي للسبب والنتيجة، وفي حين لا يرى المادي إلا الموت اللانهائي، يرى الغيبي الحياة النابضة الأبدية.

وفيما نحن نُـلبس كِـلا الحدثين بأفكارنا، كذلك نُـلبس أرواح الآخرين ثياب أفكارنا.

يعتقد الشكَّـاك بأن الجميع شكاكون مثله، ويشعر الكاذب بالأمان لفكرة أنه ليس من الحماقة بحيث يصدق وجود هذه الظاهرة التي تسمى بالشخص الصادق تماماً، ويرى الحسود الحسـدَ في كل روح، ويعتقد البخيل أن الجميع يتوقون للحصول على ماله، ومن يستبعد الضمير في أثناء جمعه لثروته، ينام والبندقية تحت وسادته، غارقاً في وهم أن العالم مليء بعديمي الضمير مثله ممن يتربصون لسلبه ثروته، وينظر المنغمس في الشهوات إلى القديس على أنه منافق.

من جهة أخرى يرى من يحملون أفكار المحبة في كل شيء ما يستدعي حبهم وتعاطفهم، الواثق بالآخرين والصادق لا يُـقلقه الشك، والإنسان الذي من طبيعته الخير، والمعطاء الذي يبتهج لرؤية الحظ الطيب للآخرين نادراً ما يعرف معنى الحسد، ومن أدرك المقـدَّس في نفسه يدركه في كل الكائنات الحية، حتى الوحوش.

يتثبَّـت الرجل والمرأة من توقعاتهما الذهنية بسبب حقيقة أنهما، وبفعل قانون السبب والنتيجة، يجذبان إلى نفسيهما ما قاما بإرساله من قبل، ويحتكَّـان من ثم مع أشخاص على شاكلتهم.

إن للمثل القائل: "الطيور على أشكالها تقع" أهميـةً أعمقَ مما يُـرى فيه عادةً، لأنه في عالم الفكرة كما في العالم المادي يجذب كل شبيهٍ شبيهه.

إذا رغبت في اللطف. فكن لطيفاً

وإذا نشدت الحقيقة. فكن صادقاً

ما تعطيـهِ من نفسك تجده

عالمك ليس إلا انعكاساً لك

إذا كنت واحداً ممن يصلُّـون، ويتطلعون إلى الأمام إلى عالم أكثر سعادة ما بعد الموت، فإليك هذه الرسالة من السعادة، يمكنك أن تدخل عالم السعادة وتدركه الآن أيضاً، فهو يملأ الكون كله، وهو يكمن فيك منتظراً أن تجده، وتعترف به، وتملكه. قال واحد ممن عرفوا القوانين الداخلية للوجود:

"إن قال أحدهم النعيم هنا أو هناك فلا تتبعه؛ لأن مملكة السماء كامنة فيك."

ما عليك فعله هو الإيمان بهذا، آمن به ببساطة في ذهنك دون ظلال للشك، ثم تأمل فيه حتى تفهمه. وستبدأ عندها بتنقية عالمك الداخلي وبنائه. وفي أثناء تقدمك في هذا منتقلاً من كشفٍ إلى آخر ومن إدراك إلى آخر، ستكتشف العجز التام للأشياء الخارجية، إلى جانب الإمكانات السحرية للروح التي تحكمها الذات.

إذا أردت إصلاح العالم

وتخليصه من كل الشرور والأحزان

وأن تجعل مساحاته الشاسعة تزهر

وأن تتفتح الصحارى الواسعة كالزهرة

فأصلح نفسك إذن

إذا أردت أن تحرِّر العالم

من أسره الطويل في الخطيئة

وتطيِّب القلوب المكسورة

وتستأصل الأسى، وتنشر العزاء الحلو فيه

فتحوَّل أنت عن هذا الدرب

إذا أردت أن تشفي العالم

من مرضه الطويل،

ومن البؤس والألم

وأن تجلب الفرح الشافي

وأن تعيد للمصاب الراحة من جديد

فاشفِ نفسك

إذا أردت إيقاظ العالم

من كابوس الموت، وصراعه في الظلمة

وتجلب إليه الحب والسلام

ونور الحياة الخالدة وإشراقها

أيقظ نفسك

الفصل الثالث

طريق الخروج من الظروف غير المرغوبة

بعدما رأينا أن الشيطان ليس إلا ظلاً عابراً، يتشكل من النفس التي تعترض مسار النور الأسمى للخير الأبدي، وأن العالم مرآةٌ يرى فيها كل شخص انعكاساً لنفسه. سنصعد الآن بخطاً واثقةٍ وسهلةٍ إلى كوكب الإدراك ذاكَ حيث نرى صورة القانون وندركها.

مع هذا الإدراك تأتي المعرفة بأن كل شيء متضمَّنٌ في تفاعل لا يتوقف بين السبب والنتيجة، وأنه لا شيء يمكنه التملُّص من القانون.

يخضع كل شيء من أكثر الأفكار والكلمات وتصرفات الإنسان تفاهةً، حتى تجمعات الأجرام السماوية، إلى سيطرة هذا القانون. ولا يمكن لأية حالة اعتباطية أن تقع ولو للمحة بصر، لأن في هذا نفياً للقانون وإلغاءً له.

إذن كل حالات الحياة مرتبطةٌ بتتابع متناغم، وسرُّ كل حالةٍ وسببها متضمَّنٌ فيها. ويقول القانون: "كل ما يزرعه الإنسان يحصده". وهو مكتوب بحروف النار على مداخل الأبدية، ولايمكن لأي كان أن ينكره، أو يحتال عليه، ولا أن يتهرب منه.

من يضع يده في النار لا بد أن يعاني الحروق للمدة التي يحتاج إليها ليخرج يده من النار، ولايمكن للَّعنات ولا الصلوات أن تغير هذا.

يحكم القانون نفسُه تيارَ الذهن أيضاً؛ فالضغينة والغضب والغيرة والحسد والشهوة والجشع كلها نيران تستجدي من تحرقه، وكل من يقترب منها ولو للمسةٍ، لا بد أن يعاني اللهيب المستعر.

تسمى كل حالات الذهن هذه بالشيطانية لأنها الجهود التي تبذلها الروح لتُفسِد، جاهلةً بالقانون، وهي تؤدي من ثم إلى الفوضى والاضطرابِ في الداخل، وهي عاجلاً أو آجلاً تتجسد في الظروف الخارجية كمرضٍ أو إخفاق أو حظٍّ عاثر، مصحوباً بالأسى والألم واليأس.

في حين أن الحب واللطف والنية الطيبة والنقاء نسمات باردةٌ تنفخ السلام على الروح التي تحملها، لتبدأ بالتناغم مع القانون الأبدي، وتتجسد في صحة الجسم، والسلام في المحيط، ونجاح دائمٍ وحظٍّ طيب.

يؤدي الفهم العميق لهذا القانون العظيم الذي يحكم الكون إلى تحقيق حالةٍ ذهنيةٍ تعرف بالتسليم. فمعرفة أن العدالة والتناغم والحب هي السائدة في الكون؛ هي معرفةُ أن كل الظروف المؤلمة نتيجةٌ لعدم تسليمنا بهذا القانون.

تزيد هذه المعرفة من القوة والقدرة، وعلى مثل هذه المعرفة وحدها يمكن بناء الحياة الحقيقية الغنية بالنجاح المستمر والسعادة. وأنت حين تظهر صبراً في كل الظروف، وتقبل كل الحالات على أنها عنصر ضروري في تدريبك، فإن ذلك مما يجعلك ترتقي فوق كل الظروف المؤلمة، وتتغلب عليها وتحقق نصراً أكيداً، لا يترك مكاناً للخوف من عودتها؛ لأنها تفنى نهائياً بقوة التسليم لهذا القانون.

يعمل الشخص المسلِّم بالتناغم مع القانون، وهو في الحقيقة يتماهى بالقانون، ومهما يكن ما يتغلب عليه فإنه يتغلب عليه إلى الأبد، ومهما يكن ما يبنيه فهو بناء لا يندثر. يكمن السبب في القوة وفي الضعف كذلك في الداخل، وسر السعادة كلها والتعاسة كلها أيضاً كامن في الداخل.

ليس هناك من تطور يُحرزُ بعيداً عن الانفتاح الداخلي، ولا موطئ قدم في اتجاه الرخاء أو السلام إلا بالتطور المنتظم للمعرفة.

تقول إنك مقيد بالظروف، وتصرخ مطالباً بفرصٍ أفضل، وأفق أوسع، أو صحةٍ أفضل، وربما أنت مستاء ضمنياً من القدر الذي يقيد يديك وقدميك.

إذا كنت ممن أتحدث عنهم، أصغِ إليَّ ودعْ كلماتي تخرق قلبك؛ لأني أقول الحقيقة:

يمكنك أن تحسِّن الظروف الخارجية المحيطة بك كما ترغب إذا تمكنت، دون تردد، من تطوير حياتك الداخلية. واعلم بأنه درب يبدو السير فيه منهكاً)درب الحقيقة هكذا دائماً، والخطيئة والوهم مغريان في البداية ومثيران(، لكنك إذا اعتزمت السير فيه، والتزمت المثابرة وضبط ذهنك مستبعداً ضعفك وسامحاً لقوى روحك بالكشف عن نفسها، فستذهلك التغيرات السحرية التي ستحدث في حياتك الخارجية.

ومع تقدمك ستجد فرصاً ذهبيةً في دربك، وستجد معها تزايد قدرتك على المحاكمة والاستخدام الأنسب لهذه الفرص. سيتقدم منك أصدقاء لطيفون دون دعوة منك، وتنجذب إليك أرواح متعاطفةٌ كما تنجذب الإبرة إلى مغناطيس، وتجذب إليك الكتب وكل مساعدة تحتاج إليها دون انتظار منك.

ربما يقيدك الفقر بقيوده الثقيلة، وتعيش بلا أصدقاء وحيداً، وربما تشعر بالتشوق للتخلص من الحمل الذي تحمله على كتفيك، لكن الحمل يستمر ويبدو لك أنك محاط بظلمةٍ تزداد حلكةً كل يوم.

ربما تتذمر، وتندب حظك، وتلعن يوم مولدك، وأهلك وصاحب العمل، أو القوى التي ألقت الفقر والتعب الذي لا تستحقه على كاهلك، في حين أنعمتْ على الآخرين بالرخاء ورغد العيش.

توقف عن التذمر والندب، فليس أي من هذه الأشياء التي تلعنها سبباً في فقرك، السبب فيك أنت، وحيث يوجد السبب يوجد علاجه.

يَظهر من حقيقة كونك شخصاً متذمراً أنك تستحق الكثير، وتَظهر أنك تفتقد للإيمان الذي هو الأرضية لكل جهد وتقدم.

لا مكان للمتذمر في الكون الذي يحكمه القانون، والقلق هو انتحار روحاني. وأنت من خلال موقفك الذهني تعمل على تقوية السلاسل التي تقيدك، وتجذب إليك الظلمة التي تحيط بك. غيِّر نظرتك إلى الحياة، وستتغير حياتك من حولك.

ابن نفسك من جديد على أساس الإيمان والمعرفة، واجعل نفسك أهلاً لمحيط أفضل وفرص أوسع. كن واثقاً قبل كل شيء بأنك تصنع أفضل ما يمكن بأفضل ما تملك.

لا تخدع نفسك بافتراض أنك قادر على الانتقال إلى إظهار ميزات أعظم في حين تتجاهل الأصغر؛ لأنك إن استطعت هذا فستكون هذه الميزات مؤقتةً، وستزول سريعاً لتتعلم منها الدرس الذي تجاهلته.

كما يجب على الطفل في المدرسة أن يتعلم مقياساً ويتقنه قبل الانتقال إلى مقياس آخر، عليك كذلك أن توظف ما تملكه الآن بإخلاص قبل أن تحقق الخير الأعظم الذي تريده لنفسك.

إن مثالَ المواهب مثال جميلٌ يوضح هذه الحقيقة؛ لأنه يظهر بوضوح أنك إذا أسأت استخدام مواهبك التي تملكها أو أهملتها أو استخففت بها فلن تحرم منها فقط، بل إنك بفعلك هذا تظهر عدم استحقاقك لها.

ربما تعيش في كوخ صغير محاطاً بمؤثرات غير صحية وربما ضارة، وترغب في منزل أكبر وأكثر ملاءمة من حيث شروطه الصحية. عليك إذن أن تكون ملائماً للإقامة في مثل هذا المنزل، وتفعل هذا أولاً بأن تجعل الكوخ الذي تعيش فيه جنةً صغيرة قدر الإمكان.

أبقهِ نظيفاً، واجعله يبدو جميلاً بقدر ما تسمح وسائلك الحالية. اطـهُ طعامك نظيفاً واعتنِ به، ورتب طاولتك المتواضعة بأجمل ما يمكن. وإذا لم تستطع شراء السجاد فافرش منزلك بالابتسامات والترحيب، وثبت هذه بمسامير الكلمات اللطيفة ومطرقة الصبر. مثل هذا السجاد لا يبهت تحت الشمس، ولا يهرأ من الاستخدام المتكرر.

بإضافة هذا النبل إلى محيطك الحالي ترتقي فوق ظروفك، وفوق الحاجة، وستنتقل في الوقت المناسب إلى منزل أفضل ومحيط أفضل بقي ينتظرك طويلاً حتى صرت أهلاً لأن تسكنه.

ربما ترغب في مزيد من الوقت للتفكير والعمل، وتشعر بأن ساعات عملك صعبة وطويلة. انظر إذن: هل تستخدم وقت الفراغ المتبقي بأفضل ما يمكن؟ إن الرغبة في مزيد من الوقت رغبةٌ عقيمة، فإذا كنت تضيع الآن الوقت القليل الذي تملكه فستصبح أكثر كسلاً ولامبالاة.

حتى افتقاد الوقت ونقص وقت الراحة ليسا بالشر الذي تتخيله، وإذا كانا يعيقان تقدمك فهذا لأنك ألبستهما ضعفك أنت، والشر الذي تراه فيهما كامن فيك أنت.

بادر إلى أن تدرك تماماً وبشكل كامل أنك بقدر ما تساهم في صياغة ذهنك وقولبته، فإنك أنت من تصنع قدرك، وأنك من خلال استخدامك لضبط النفس ستدرك هذا أكثر فأكثر، وستصل إلى رؤية أن هذه الشرور كما تسميها يمكن الارتقاء فوقها وتحويلها إلى نعمة.

ستستخدم فقرك عندها لتؤسس للصبر، والأمل والشجاعة، وستوظف افتقادك للوقت لتكسب الهمةَ على العمل واتخاذ القرار واستغلال اللحظات الثمينة التي تقدم نفسها لك لتقبلها كما هي.

يمكن لأجمل الأزهار أن تنمو في أقذر الترب، وفي التربة السوداء للفقر ازدهرت أجمل أزهار الإنسانية وتفتحت. وحيث الصعوبات التي يجب التأقلم معها، والظروف غير المرضية التي يجب التغلب عليها، هناك تقدم الفضيلة أجمل أزهارها وتظهر عظمتها.

تدرب على الصبر وضبط النفس دون توقف. حوِّل المساوئ إلى رصيد من خلال استخدامها لكسب القوة الذهنية والروحانية، وستعلم الآخرين بمثالك الصامت وتأثيرك، وستعلِّم صاحب

عملك وتساعده على الشعور بالخجل من سلوكه، وستعمل في الوقت نفسه على الارتقاء بنفسك إلى ذلك السمـوِّ الروحاني الذي يمكِّنك من الانتقال إلى محيط أكثر ملاءمةً ما إن يتكشف لك.

لاتتذمر من كونك خادماً إنما ارفع من روحك المعنوية، من خلال السلوك النبيل الأرقى من مستوى الخدمة. وقبل التذمر من كونك خادماً لآخر تأكد من أنك لست عبداً لنفسك.

انظر في داخلك نظرة باحث، ولاتكن رحيماً مع نفسك، وربما تجد هناك بالمصادفة أفكار العبودية، ورغباتها وعادات العبودية في سلوك حياتك اليومية.

تغلب على هذه، وتوقف عن كونك عبداً لنفسك، ولن يملك أي إنسان القوة ليستعبدك. وعندما تتغلب على نفسك تتغلب على كل الظروف المعاكسة وعلى كل صعوبة تواجهك.

لا تتذمر من اضطهاد الثري لك، فهل أنت واثق من أنك لن تضطهد الآخرين لو أصبحت ثرياً؟ تذكر أن هناك قانوناً أبدياً عادلاً تماماً، وأن من يَضطَـهد اليوم سيُضطهد غداً، ولا مفر من هذا.

وربما كنت أنت بالأمس ثرياً مستبداً، وتدفع الآن دينك الذي تدين به للقانون العظيم، لذا أظهر الجلَدَ والإيمان.

أعمِل ذهنك دائماً في العدالة الأبدية، والخير الأبدي. وبادر إلى الارتقاء بنفسك فوق الشخصي والزائل إلى غير الشخصي والدائم.

انفض عنك وهمَ كونك متأذياً أو مضطهداً من الآخرين، وحاول أن تدرك من خلال فهمٍ أعمق لحياتك الداخلية، والقوانين التي تحكم تلك الحياة أنك لا تتأذى فعلاً إلا مما في داخلك أنت. ليست هناك ممارسة تحطُّ من قدرك أو تسبب إذلالاً ودماراً للروح كما تفعل الشفقة على الذات. انفض هذا عنك، فلا يمكنك أن تتوقع النضج إلى حياة أكثر امتلاءً ما دامت هذه القرحة تأكل من قلبك.

توقف عن اتهام الآخرين وابدأ باتهام نفسك. لا تسوّغ لنفسك أياً من أفعالها ورغباتها أو أفكارها التي لا يمكن مقارنتها بالنقاء الذي لا تشوبه شائبة، ولا تحتمل نور الخير البعيد عن الخطايا.

ستبني من خلال قيامك بهذا منزلك من حجارة الأبدية، وسيأتيك كل ما تحتاج إليه من أجل سعادتك وطيب عيشك في وقته.

بالتأكيد ليس هناك طريق للارتقاء فوق الفقر أو أي حالة غير مرغوبة إلا بالتخلص من تلك الحالات الأنانية والسلبية في داخلك، والتي تنعكس على حياتك الخارجية بهذه الظروف غير المرغوبة، وتستمر بفضلها.

الطريق إلى الغنى الحقيقي هو إغناء الروح بالتحلي بالفضيلة. فليس خارج فضيلة القلب رغدٌ ولا قوة، إنما هي المظاهر فقط. أعرف أن هناك أناساً يكسبون المال دون أي اعتبار للفضيلة، وأن رغبتهم في الفضيلة قليلة، لكن مثل هذا المال لا يؤسس للغنى الحقيقي، وامتلاكه أمر متغير وزائل.

> دائماً ما كان غنى الشرير هو الامتحان الأصعب للمؤمن حتى يدخل محراب الرب فيعرف نهايته.

يمكنك أنت أيضاً أن تدخل ذلك المحراب فهو في داخلك، وهو تلك الحالة من الوعي التي تبقى بعد أن ترتقي فوق كل ماهو دنيء وشخصي وزائل، ليتجسد المبدأ الكوني الأبدي.

تلك هي حالة الوعي الربانية، وهي الملاذ الأسمى. عندما تنجح بعد طول كفاح مع ضبط الذات في دخول باب ذلك الهيكل المقدس، ستدرك ببصيرة نافذةٍ نهاية أفكار الإنسان وثمرتها سواء خيراً أم شراً.

لن يتزعزع إيمانك بعد هذا لرؤية الإنسان غير الأخلاقي يزداد غنىً؛ لأنك صرت تعرف أنه لا بد أن يعود إلى الفقر والإذلال.

الغني البعيد عن الفضيلة هو إنسان فقير في الحقيقة، وكما تنتهي مياه النهر في المحيط، فإن من المؤكد أنه في غمرة غناه الحالي ينجرف في اتجاه الفقر والمحنة، ومع أنه قد يموت غنياً إلا أنه لا بد أن يعود ليقطف الثمار المـرَّةَ للاأخلاقيته.

ومع أنه ربما يصبح غنياً عدة مرات، لكنه سيرمى في الفقر عدداً مساوياً من المرات، حتى يتعلم من التجربة الطويلة من المعاناة أن يتغلب على الفقر في داخله.

أما الإنسان الفقير من الخارج، والغني بالفضيلة فهو الغني الحقيقي، وهو في غمرة فقره من المؤكد أنه مسافر باتجاه الرخاء، وسيجد الفرح الدائم والبركة في انتظاره. إذا أردت أن تصبح غنياً فعلاً ودائماً فعليك أن تتحلى بالفضيلة أولاً.

لذلك ليس من الحكمة أن تستهدف الغنى مباشرةً، وأن تجعل الوصول إليه هدفك الوحيد في الحياة؛ لأنك بهذا تؤكد هزيمتك في النهاية. استهدف تحسين الذات، واجعل الخدمة المفيدة وغير الأنانية هدفاً لحياتك، ومدَّ يديك دائماً بالإيمان نحو الخير الأسمى الذي لا يتغير.

ربما تقول إنك ترغب في الغنى لا لمصلحتك وحدك، بل للخير الذي يرافقه ويعمُّ الآخرين. فإن كان هذا الدافعَ الحقيقي لرغبتك في الغنى فسيأتيك الغنى؛ لأنك ستكون قوياً وغير أناني فعلاً إن استطعت في أيام غناك أن تنظر إلى نفسك كخادمٍ وليس كمالك.

لكن اختبر دافعك جيداً؛ لأن أغلب الأمثلة حيث الرغبة في المال بهدف تقديم الخير للآخرين، تحمل في باطنها حباً للشهرة، ورغبةً في مكانة فاعل الخير أو المصلح.

إذا لم تكن تفعل خيراً بالقليل الذي تملكه فتأكد أنك ستزداد أنانيةً مع تزايد المال الذي تملكه، وكل الخير الذي أبديت أنك راغب في فعله بالمال، كان مديحاً منمقاً وزائفاً للنفس.

إذا كنت راغباً في فعل الخير حقاً فلست مضطراً إلى انتظار المال حتى يأتيك، بل يمكنك فعله الآن في هذه اللحظة حيث أنت. وإذا كنت غيرياً كما تعتقد نفسك حقاً، فستظهر هذا بالتضحية من نفسك للآخرين الآن.

بغض النظر عن مدى فقرك، يبقى هناك متسع للتضحية بالذات، ألم تضع الأرملة كل ما لديها في الخزنة؟ لا ينتظر القلب الراغب فعلاً في فعل الخير أن يأتيه المال حتى يفعله، بل يمضي إلى مذبح الأضاحي، ليترك هناك كل العناصر غير الضرورية من النفس، ويخرج ليبثَّ أنفاس البركة لدى الجار والغريب، والصديق والعدو على السواء.

كما يرتبط الأثر بالسبب، كذلك يرتبط الغنى والقوة بالخير الداخلي، والفقر والضعف بالشر الداخلي. لا يشكل المال الثروة الحقيقية ولا المنصب ولاالقوة، والاعتماد عليها وحدها أشبه بالوقوف في مكان زلق.

ثروتك الحقيقية هي فضيلتك، وقوتك الحقيقية هي استخدامك لها. قم بتنقية قلبك وستنقي حياتك، الشهوة والضغينة والغضب والغرور والتحامل والافتراء وإرضاء الذات والعناد كلها علامات الفقر والضعف، في حين أن الحب والنقاء واللطف والمهادنة والتعاطف والكرم ونكران الذات ونسيانها؛ كلها علامات القوة والغنى.

مع التغلب على عناصر الضعف والفقر تنبع من الداخل قوةٌ لا تقاوم، ومن ينجح في الوصول بنفسه إلى أعالي الفضيلة يضع العالم كله تحت قدميه.

لكن للغني كما للفقير ظروفه غير المرغوبة، وهو غالباً ما يكون أبعد من الفقير عن سعادته. ونرى هنا أن السعادة لا تعتمد على المساعدات الخارجية أو الممتلكات بقدر ما تعتمد على الحياة الداخلية.

ربما أنت صاحب عملٍ، ولديك كمٌّ لا ينتهي من المشكلات مع موظفيك، وعندما تحصل على موظفين جيدين مخلصين تجدهم يتركونك بسرعة. وأنت بالنتيجة بدأت تخسر، أو أنك خسرت فعلاً إيمانك بالبشر. تحاول أن تعالج الأمور بتقديم أجور أعلى، وبالسماح ببعض الحريات، لكن الأمور لا تتغير، دعني أنصحك.

لا يكمن سرُّ مشكلاتك في موظفيك، إنما يكمن فيك، وإذا نظرت في داخلك مع رغبة متواضعةٍ وصادقةٍ في اكتشاف أخطائك والتخلص منها، فإنك ستجد عاجلاً أو آجلاً مصدر تعاستك كلها.

ربما تكون رغبةً أنانية، أو شكاً كامناً، أو موقفاً ذهنياً فظاً يرسل سمومه إلى من هم حولك ليرتد إليك مع أنك لا تظهره في كلامك.

فكر بلطفٍ فيمن يعملون لأجلك، وفكر من وجهة نظرهم في الخدمة المتفانية التي لم تكن أنت لتهتم بتقديمها لو أنك في مكانهم.

نادر وجميل هو تواضع الروح الذي يجعل الخادم ينسى نفسه تماماً أمام مصلحة سيده، والأكثر ندرةً والجميل جمالاً ربانياً هو نبل الروح الذي يجعل الإنسان ينسى سعادته الشخصية ويسعى إلى تحقيق سعادة من هم تحت سلطته، ومن يعتمدون عليه في حاجاتهم الجسدية.

تزداد سعادة مثل هذا الإنسان عشرة أضعاف، فلا يحتاج إلى التذمر ممن يوظفهم. قال رجل أعمال معروف على نطاق واسع، لم يضطر مرةً إلى فصل موظف من موظفيه: "بنيت دائماً أسعد العلاقات مع العاملين لدي.

وإذا سألتني: كيف هذا؟ فلن أقول إلا أن هدفي منذ البداية تمثل في أن أعاملهم كما أتمنى أن أُعامل". يكمن في هذا سر الوصول إلى كل الظروف المرغوبة، والتغلب على كل الظروف غير المرغوبة.

هل تقول: إنك وحيد وغير محبوب "ولا تملك صديقاً في الدنيا؟"، أدعوك إذن لسعادتك ألا تلوم أحداً إلا نفسك. كن ودوداً مع الآخرين، وسترى الأصدقاء يتجمعون حولك سريعاً. كن نقياً ومحباً وسيحبك الجميع.

مهما تكن الظروف التي تثقل حياتك، يمكنك أن تتجاوزها بتطوير قوة التحويل في داخلك واستخدامها لتنقية ذاتك والتغلب عليها.

سواء كان الفقر الذي يغضبك (تذكر أن الفقر الذي تحدثت عنه هو الفقر الذي هو مصدر البؤس، وليس الفقر الطوعي الذي هو مجد الأرواح الحرة)، أو الغنى المرهق، أو الحالات المختلفة من سوء الحظ، أوالبؤس والإزعاجات التي تشكل الخلفية المظلمة لنسيج الحياة، يمكنك التغلب عليها بالتغلب على العناصر الأنانية في داخلك والتي تمنحها الحياة.

ليس مهماً بفعل القانون الثابت أن هناك أفكاراً وأفعالاً من الماضي تحتاج إلى العمل عليها والتكفير عنها، بقدر ما يقوله القانون نفسه من أننا في كل لحظةٍ من حياتنا نضع أفكاراً وأفعالاً جديدةً قيد الفعل، ولدينا القدرة على توجيه هذه الأفعال والأفكار لتكون خيراً أو شراً.

ولا يستوجب هذا أنه إذا كان شخص ما يخسر ماله أو يفقد منصبه (يحصد ما زرعه)، بأنه يجب أن يفقد أيضاً جَلده أو يخسر استقامته، وفيهما يجد ثروته وسعادته. فمن يتمسك بالنفس يتمسك بعدوه ويحيط نفسه بالأعداء.

أما من يتغلب على النفس فهو مخلِّصُ ذاتـه، وهومحاط بالأصدقاء يتحلقون حوله كحزامٍ يحميه. تتلاشى كل العتمة أمام النور الرباني للقلب النقي، وتتشتت كل الغيوم، ومن تغلب على نفسه تغلب على الكون.

تعال إذن واخرج من الفقر، واخرج من ألمك، ومن اضطرابك، وتنهداتك وتذمرك وجراح قلبك ومن وحدتك بأن تخرج من نفسك.

ارمِ عنك الأسمال الممزقة لأنانيتك التافهة، وضع عليك حلَّـة الحب الكوني. ستدرك عندها الجنة في داخلك، وستنعكس على عالمك الخارجي.

من يضع قدمين ثابتتين على درب التغلب على النفس، ومن يسير يساعده الإيمان، ويختار الطريق الواسعة التي تمهدها التضحية بالنفس، مؤكَّدٌ أنه سيحقق الرغد الأكبر، وسيقطف الثمار فرحاً دائماً وبركة.

لهم

من ينشدون الخير الأسمى

تضع كل الأشياء نفسها في خدمتهم

لتحقيق الغايات الرشيدة

تأتي التفاهة بالشرور،

وتعير الحكمةُ جناحين

لكل أذيال الشر لتبعدها.

تخيم عتمة الأسى على النجم المنتظر ليشع بنوره المفرح

يقف الجحيم خادماً للنعيم،

وبعد الليل

يأتي المجد الذهبي من بعيد

الهزائم خطواتٌ في طريق صعودنا إلى الهدف الأنقى والغاية الأكثر نبلاً

تمضي بنا الخسارة إلى الربح،

ويستقبل الفرحُ

الخطوات الحقيقية على سلَّم الزمن

يمضي بنا الألم إلى مسارات النعيم المقدس

وإلى أفكار وكلمات وأفعال أكثر قدسيةً

لتتعانق الغيوم المكفهرة والشعاع المتألق

على طريق الحياة الصاعد

لا يفعل الحظ العاثر أكثر من أن ينشر غيومه على الطريق

التي تصل وتنتهي في السماء

حيث النجاح اللماع، الذي تقبِّله الشمس،

ينتظر في الأعالي سعينا، وبقاءنا

الرفيق الثقيل من الشك والخوف

يلقي بظله على وديان آمالنا

وتلك الظلال التي تنجح الروح في التغلب عليها

والحصاد المر من الدموع

الأسى، والبؤس والأحزان

والندبات التي تتركها الروابط المنكسرة

كلها خطوات نصعد من خلالها

إلى طرقِ العيش مع المعتقدات السليمة

الحب والإشفاق، والتحفظ تسير معاً

لتلتقي المسافرَ من أرض القدر

وكل المجد والخير ينتظر

وصول القدم المسلِّمة

الفصل الرابع

القوة الصامتة للفكرة:سيطرة الإنسان على قواه وتوجيهه إياها

أقوى قوى الكون هي القوى الصامتة، ووفقاً لشدتها تصبح القوة مفيدةً عندما توجَّـه بشكل صحيح، ومدمرةً عند التوظيف الخاطئ لها.

يعتبر هذا من المعلومات العامة في القوى الميكانيكية، كالبخار والكهرباء إلخ. لكن قلةً تعلموا استخدام هذه المعرفة في سياق الذهن، حيث قوة الفكرة (الأقوى من أي شيء آخر) تتولد باستمرار وترسل كتياراتٍ من الخلاص أو الدمار.

وصل الإنسان في هذه المرحلة من التطور إلى امتلاك هذه القوى، والنزعة العامة لهذا التطور الحالي هي الإخضاع الكامل لها. كل الحكمة التي يمكن للإنسان استحواذها في العالم المادي توجد في السيادة التامة على النفس، والأمر القائل: "أحبوا أعداءكم" يوظف نفسه نصيحةً للبدء هنا والآن، وامتلاك الحكمة السامية وذلك بالسيطرة على قوى الذهن تلك التي يخضع الإنسان لها الآن وتوجيهها، والتي يحملها عاجزاً أمامها، وكأنه قشة في نهرٍ تتقاذفها تيارات الأنانية.

ربط الأنبياء دائماً من خلال معرفتهم الكاملة بالقانون الأسمى بين الأحداث الخارجية والأفكار الداخلية، وربطوا بين الكوارث التي تصيب الأمم أو النجاحات التي تحققها بالأفكار والرغبات التي تسود هذه الأمم في تلك الأوقات.

إن معرفة القوة السببية للفكرة هي الأساس لكل نبوءاتهم، كما هي الأساس لكل حكمةٍ حقيقيةٍ وقوة. فالأحداث على مستوى الأمم هي ببساطة نتيجةٌ لعمل القوى النفسية لأبناء الأمة.

الحروب والطاعون والمجاعات هي التقاء قوى الأفكار الموجهة خطأً وتصادمها، ونقاط الذروة التي يبدأ فيها الدمار كأحد خادمي القانون.

من الحماقة أن تُـنسب الحرب إلى تأثير رجلٍ واحد، أو مجموعةٍ من الرجال، بل هي تتويج لأنانية الأمة، وهي قوى الأفكار الصامتةُ والمدمرة التي تجلب كل هذا على الأمة.

انبثق الكون من فكرة، ولقد وُجد أن المادة في تحليلها النهائي ليست أكثر من مجرد فكرةٍ متجسدة. وكل إنجازات الإنسان تشكلت في البداية من فكرة ثم تجسدت.

المؤلف والمخترع والمعماري، يبني كلٌّ من هؤلاء جميعاً عمله في فكرةٍ ثم يعمل على إتمام كل أجزائها وتحقيق التناغم بينها في كل مكتملٍ في ذهنه، لينتقل بعد هذا إلى العمل على المادة ويصنع الجسد المادي لفكرته.

عندما توجه قوى الفكرة بالتناغم مع القانون الأعلى، فإنها تكون قوىً بناءة وحافظة، لكنها حين تنحرف تصبح محللةً ومدمرةً للذات.

ولكي تكيِّـف أفكارك كلها إلى إيمان ثابت لا يتزعزع بالرب الكلِّـي القدرة وسيادته، يعني أن تستعين به، وأن تدرك في داخل نفسك الحلَّ وتقضي على كل شر فيها. آمِـنْ وستعيش إيمانك.

نصل هنا إلى المعنى الحقيقي للخلاص. الخلاص من الظلمة وسيطرة الشيطان، وذلك من خلال الدخول في النور الحي والسرمدي للرب.

حيث يوجد الخوف والقلق والتوتر والشك والاضطراب والكدر أو خيبة الأمل يوجد جهلٌ ونقص في الإيمان.

فكل هذه الحالات الذهنية هي نتائج مباشرةٌ للأنانية، وهي ترتكز إلى الإيمان بقوة الشيطان وسيادته، وهي تشكل من ثم شركاً عملياً، وأن تعيش في هذه الحالات المدمرة للروح وتصبح عبداً لها هو الشرك الفعلي.

إن الخلاص من مثل هذه الحالات هو ما يحتاج إليه عرقنا البشري، ولا يتباهى أحدهم بالخلاص فيما هو عاجز وعبد مطيع.

الخوف والقلق خطيئةٌ بقدر ما هو اللعنُ، فكيف يخاف الإنسان أو يقلق إذا آمنَ فعلاً بالعدالة الأبدية، والخير المطلق، والحب اللامحدود؟ الخوف والقلق والشك إنكارٌ وعدم إيمان.

من مثل هذه الحالات الذهنية ينبع كل ضعف وإخفاق، لأن هذه الحالات تمثل بطلان القوى الإيجابية للفكرة وتحطمها، والتي يمكن إن وجدت أن تنعم على حاملها بالقوة، وتحمل إليه كل الخير الذي ينشده. والتغلب على هذه الحالات السلبية يعني الدخول في قوة الحياة، والتوقف عن كونك عبداً، لتصبح سيداً، وهناك طريقة واحدة فقط للتغلب على هذه الحالات، وهي النمو الثابت والمستمر للمعرفة الداخلية.

ليس إنكار الشيطان فكرياً أمراً كافياً، لا بد من الارتقاء فوقه وفهمه من خلال الممارسة اليومية. كذلك فإن التأكيد الفكري على الخير غير كافٍ، ولا بد من الدخول فيه وفهمه بعزيمةٍ لا تكلّ.

تؤدي الممارسة الذكية لضبط النفس بسرعةٍ إلى معرفة المرء بالقوى الداخلية لأفكاره، وتؤدي لاحقاً إلى امتلاك تلك القوى وتوجيهها وتوظيفها بالشكل الصحيح.

المقياس هو سيادتك على نفسك، وسيطرتك على قواك الذهنية بدلاً من الخضوع لها، ووفقاً لهذا المقياس وحده تسيطر على علاقاتك في العالم الخارجي وعلى ظروفك.

أرني شخصاً يذوي كل شيء تحت لمسته، ولا يستطيع الحفاظ على النجاح حتى عندما يكون بين يديه، وسأريك شخصاً يعيش باستمرار في الحالات الذهنية التي هي النقيض للقوة تماماً.

أن تعيش إلى الأبد متخبطاً في الشكوك، أو أن تغرق باستمرار في الرمال المتحركة للخوف، أو تدفعك رياح القلق دون توقف، كل هذا يعني كونك عبداً، وأن تعيش حياة العبودية، مع أن النجاح والقوة يدقان بابك دائماً منتظرين من يفتح لهما.

مثل هذا الشخص غير قادر على التحكم بعلاقاته لكونه عديم الإيمان فاقداً لضبط النفس، وهو عبد للظروف، وهو في الحقيقة عبدٌ لنفسه. يتعلم مثل هذا الشخص من محنه، ويعبر من الضعف إلى القوة من خلال ضغوط التجارب المرة .يشكّل كل من الإيمان والغاية القوةَ الدافعة للحياة.

ليس هناك ما لا يستطيع الإيمان القوي والغاية الثابتة أن يحققاه. ومن خلال الممارسة اليومية للإيمان الصامت، تتجمع قوى الأفكار معاً، ومن خلال التقوية اليومية للغاية الصامتةِ تتوجه هذه القوى نحو الهدف المنشود لتحقيقه.

مهما يكن مكانك في الحياة اليوم وقبل أن تأمل بدخول عالم النجاح، والغيرية والقوة، عليك أن تتعلم كيف تركز قوى أفكارك بزرع الهدوء والسكينة .ربما تكون رجل أعمال وتجد نفسك فجأة أمام صعوبةٍ شديدة أو كارثة محتملة .تشعر بالخوف والقلق وأنت على وشك أن تفقد صوابك.

إن الاستمرار في مثل هذه الحالة الذهنية قد يكون قاتلاً؛ لأن القلق حين يدخل تهرب المحاكمة الصحيحة، أما إذا استفدت من ميزة ساعة الصمت في الصباح الباكر أو في الليل، وذهبت إلى مكان تعتزل فيه، أو إلى غرفة في منزلك حيث تعرف أنك ستكون حراً تماماً من أي تطفل، وهدأت من روع نفسك فإنك تجبر ذهنك على الابتعاد عن موضوع القلق بالتفكير في شيء ما في حياتك يفرحك ويشعرك بالبركة، ستجد عندها قوةً هادئةً وسكينةً تتزايد بالتدريج لتحتل ذهنك، وسيزول قلقك.

في اللحظة التي تجد ذهنك يعود إلى القلق أعده من جديد، وضعه من جديد على مسار السلام والقوة. عندما تنجز هذا تماماً يمكنك أن تركز ذهنك كله على إيجاد الحلِّ للخروج من محنتك، وما كان معقداً ومستحيلاً بالنسبة إليك في ساعة قلقك يصبح واضحاً وسهلاً، وسترى بتلك الرؤية الواضحة والمحاكمة المثالية التي تنبع من الذهن الهادئ غير المضطرب وحده المسارَ الصحيح والغاية المناسبة التي عليك الوصول إليها.

ربما تحتاج إلى المحاولة يوماً بعد آخر قبل أن تتمكن من تهدئة ذهنك تماماً، لكنك إذا ثابرت فلا بد أن تحقق هذا. ولابد لك من اتباع المسار الذي يتبدى في ساعة الهدوء تلك.

من المؤكد أنك حين تعود إلى عملك من جديد ويعود القلق ليحاول السيطرة عليك، فإنك ستبدأ التفكير بأن ذلك المسار خطأ أو أحمق، لكن لا تكترث لمثل هذه المقترحات.

اتبع تماماً وكلياً رؤيا ساعة الهدوء، وليس ظلال القلق. ساعة الهدوء هي ساعة الاستنارة والمحاكمة الصائبة.

تعود القوى المشتتة للأفكار عبر هذا المسار من ضبط الذهن لتتوحد وتتوجه، وكأنها أشعة المصباح الكشاف لتضيء المشكلة ونتائجها قبل حدوثها.

ليست هناك صعوبة مهما تكن شدتها إلا وتخضع للتركيز الهادئ والقوي للفكرة، وليس من هدفٍ معقدٍ إلا وتجسد بسرعةٍ من خلال الاستخدام الذكي لقوى الإنسان الروحانية وتوجيهه إياها.

لن تحظى بأي فهمٍ ولو تقريبياً للقوة الهائلة للفكرة وعلاقتها التي لا تنفصم بالخارج والعالم المادي، وعن إمكانياتها السحرية عند توجيهها وتوازنها وقدرتها على إعادة تكييف ظروف الحياة وتحويلها، حتى تمضي عميقاً متفحصاً في طبيعتك الداخلية، وتتغلب على كثير من الأعداء الكامنين هناك.

كل فكرةٍ تفكر فيها هي قوةٌ ترسلها إلى الخارج، وبالتوافق مع طبيعتها وشدتها تمضي إلى الخارج لتبحث عن مسكن لها في أذهان أخرى تستقبلها، وتتفاعل معك في الخير أو الشر. يوجد تبادل لا يتوقف بين ذهن وآخر، وتبادل مستمر لقوى الأفكار.

أفكار الأنانية والأفكار المزعجة هي قوىً خبيثة وكثيرةٌ وهدامة، وهي رسل الشيطان يرسلها ليحفز الشيطان ويعززه في أذهان أخرى، لتعود هذه بدورها وترسلها إليك بقوةٍ مضافة.

في حين أن الأفكار الهادئة والنقية وغير الأنانية رسلٌ ملائكيةٌ ترسل في العالم حاملة الصحة والبركة على أجنحتها، تقاوم قوى الشيطان، وتصب زيت الفرح على وجه المياه المضطربة بالقلق والحزن، وتشفي القلوب المكسورة وتعيد إليها إرثها من الخلود.

فكر في أفكار الخير، وستتجسد بسرعةٍ في عالمك الخارجي في صورة ظروف جيدة. سيطر على قوى روحك، وستتمكن من صياغة حياتك الخارجية كما تريد.

الفرق بين النقيِّ وبين الخاطئ هو أن أحدهما يملك سيطرة مثاليةً على كل القوى في داخله، لكن الآخر خاضع ومستعبد لها.

ليست هناك بالتأكيد أي طريق أخرى نحو القوة الحقيقية والسلام الدائم إلا بالسيطرة على النفس، وإخضاعها وتنقيتها. أما خضوعك لنزعة حب السيطرة فهذا يعني أنك عاجز وتعيس وقليل الفائدة الحقيقية في العالم.

إن إخضاعك لتفاهات ما يعجبك ولايعجبك، ونزواتك فيما تحب وتكره، ونوبات غضبك، والشك والغيرة وكل الأمزجة المتغيرة التي تنساق لها بدرجة أو بأخرى هي المهمة التي عليك إنجازها أولاً، إذا أردت أن تنسج شبكة الحياة بالخيوط الذهبية للسعادة والرغد.

ما دمت مستعبداً للأمزجة المتغيرة في داخلك، فإنك ستبقى بحاجة إلى الاعتماد على الآخرين وعلى المساعدات الخارجية في أثناء مسيرتك في الحياة.

فإذا أردت السير بثبات وأمان وأن تحقق أي إنجاز فعليك أن تتعلم الارتقاء والسيطرة على كل هذه التقلبات المزعجة والمشوِّشة.

عليك أن تمارس يومياً عادة إراحة ذهنك، أو ما يسمى "الدخول في الصمت ."تعد هذه طريقةً لتستبدل بالفكرة المضطربة أخرى تحمل السلام، وبفكرة الضعف فكرة القوة. ولا يمكنك أن تأمل توجيهَ قواك الذهنية على المشكلات ومسارات الحياة وتحقق أي نجاح قبل أن تنجح في تحقيق هذا. وهي عملية تحويل المرء لقواه المشتتة وضخها في قناة واحدةٍ من القوة.

كما يمكن تحويل مستنقع عديم الفائدة إلى حقل من الذرة الذهبية أو إلى حديقة مثمرةٍ من خلال تجفيفه وتوجيه جداول الماء المشتتة والضارة إلى قناة واحدةٍ موجهةٍ، كذلك فإن من يمتلك الهدوء، ويخضع تيارات أفكاره ويوجهها، ينقذ روحه، ويقطف الثمار في قلبه وفي حياته.

مع نجاحك في كسب السيادة على اندفاعاتك وأفكارك تبدأ تشعر بقوةٍ صامتةٍ تنمو في داخلك، وتشعر بشعور مستقرٍّ من رباطة الجأش والقوة يرافقك .وتبدأ قواك الكامنة بالكشف عن نفسها، وفي حين كانت جهودك في السابق ضعيفةً غير مؤثرةٍ، ستتمكن الآن من العمل بتلك الثقة الهادئة التي يخضع لها النجاح.

وبالترافق مع هذه القوة الجديدة سيستيقظ في داخلك ذلك النور الداخلي الذي يسمى "الحدْس" ولن تسير مجدداً في الظلمة والهواجس، بل في النور واليقين.

مع تطور بصيرة الروح هذه، سترفع من مستوى المحاكمة ونفاذ الذهن بما لا يقاس، وستتطور في داخلك البصيرة التنبؤية التي تمكنك من الشعور بالأحداث التالية، والتكهن بنتائج عملك بدقةٍ ملحوظة.

حالما تتغير من الداخل ستتغير رؤيتك للحياة، ومع تغير موقفك الذهني تجاه الآخرين ستغير مواقفك وسلوكهم تجاهك.

ومع ارتقائك فوق قوى الأفكار الوضيعة الموهنةِ والهدامة، ستتواصل مع تيارات الأفكار الإيجابية المقويةِ البناءة للأذهان النبيلة الصافية والقوية، وستزداد سعادتك بما لا يقاس، وتبدأ بإدراك الفرح والقوة والتأثير التي لا تتولد إلا عن السيطرة على النفس.

ستشع بهذا الفرح والقوة والتأثير باستمرار، ومن دون أن تبذل أي جهد، ومع أنك الآن لن تدرك هذا، لكن الأشخاص الأقوياء سينجذبون إليك، وستوضع السلطة بين يديك، وبالتوافق مع التغير في عالم أفكارك ستتغير الأحداث في عالمك الخارجي.

"أعداء الإنسان من صنع يده"؛ ومن يريد أن يصبح مفيداً وقوياً وسعيداً عليه التوقف عن كونه مستقبلاً مذعناً للسلبية مستعطياً من الآخرين، وأن يبتعد عن تيارات الأفكار غير النقية، وكما يحكم صاحب المنزل خدمَـهُ، ويدعو ضيوفه، عليه كذلك أن يتعلم السيطرة على رغباته، وأن يحدد بصوت تملؤه السلطة الأفكار التي يسمح لها بدخول صرح روحه.

يضيف النجاح حتى الجزئي الصغير في السيطرة على النفس الكثيرَ إلى قوة الإنسان، ومن ينجح في تحقيق هذا الإنجاز المقدس يدخل مملكة الحكمة التي لم يحلم بها يوماً والقوة والسلام الداخلي، ويدرك من حقق السيادة على روحه أن كل قوى الكون تساعد خطاه وتحميها.

أترغب في الارتقاء إلى النعيم

أو أن تنفذ إلى أعماق الجحيم

أن تعيش في أحلام الجمال الدائم

أو في مجاهل التفكير الحقير

لأن أفكارك هي النعيم فوقك

وهي الجحيم في الأسفل

ليس النعيم إلا في أفكارك

وليس العذاب إلا من أفكارك

تختفي عوالم بمجرد التفكير

ليس المجد إلا في الأحلام

ومآسي العصور من النهر الأبدي للأفكار

الكرامة والعار والحزن

والألم والبؤس والحب والكراهية

ليست جميعها إلا أقنعةً للفكرة

النابضة الجبارة التي تحكم القدر

كما ترسم ألوان قوس قزحٍ

الشعاع الواحد عديم اللون

كذلك تصنع التغيرات في الكون

الحلمَ الأبدي الواحد

والحلم فيك أنت

والحالم انتظر طويلاً

أن يوقظه الصباح

ليعيش الفكرة الحية والقوة

التي تجعل المثالي واقعاً

وتفني كل كوابيس الجحيم

في النعيم الأعلى والأكثر قداسةً

حيث النقي والمثالي

الشر هو الفكرة التي تفكر في الشر

والخير هو الفكرة التي تصنعه

النور والظلمة، الخطيئة والنقاء

تنبع كذلك من الفكرة

تجـوَّل بأفكارك في الاتساع

وسترى الاتساع

ثبت ذهنك على الأسمى

وستكون أقرب إليه

الفصل الخامس

سر الصحة والنجاح والقوة

نذكر جميعنا بسعادة غامرةٍ استماعنا إلى الحكايات ونحن أطفال. وكيف تتبعنا بتشوقٍ الأحداث المتغيرة للصبي أو البنت الصغيرة المحمية من الشر دائماً في كل المحن التي تمر بها ومن مكائد الساحرة الشريرة، والعملاق المتوحش والملك الفاسد.

لم ترتجف قلوبنا الصغيرةُ خوفاً على مصير البطل أو البطلة، ولم نشكَّ في انتصارهما في النهاية على أعدائهما؛ لأننا عرفنا أن الجنيات تنتصر دوماً، وأنها لن تتخلى أبداً عمن نذروا أنفسهم للخير والحقيقة.

ويالها من فرحة تتفجر فينا عندما تتدخل ملكة الجنيات بكل سحرها لتساعد بطلنا في اللحظة الحرجة، وتشتت كل الظلمة والاضطراب، وتمنحه الرضا الكامل بتحقيق آماله كلها، ليعيش في سعادة وهناء.

مع مرور السنين وتزايد تداخلنا مع مايسمى (واقع) الحياة تنطمس معالم عالم الجنيات، ويرحل سكانها الرائعون من أرشيف الذاكرة ليسكنوا ظلال العالم اللاواقعي.

اعتقدنا بأننا كنا حكيمين وأقوياء إذ هجرنا أرض أحلام الطفولة، لكننا عندما نعود أطفالاً في عالم الحكمة الرائع نجد أن علينا أن نعود مرة أخرى إلى أحلام الطفولة الملهمة لنجد أنها واقعية في الخلاصة.

الجني الصديق الصغير وغير المرئي تقريباً، ويمتلك مع ذلك القوة السحرية الهائلة، والذي يمنح الخير والصحة والثروة والسعادة مع كل الهدايا في الطبيعة بسخاء، يعود إلى الواقع ليصبح خالداً في روح الإنسان الذي يتعرف مع تزايد حكمته عالمَ قوة الفكرة، والقوانين التي تحكم العالم الداخلي لوجوده.

تعود الجنيات لتعيش من جديد كأشخاص في ذهنه، ورُسُلٍ للأفكار، وقوىً للأفكار تعمل بالتناغم مع الخير الأعلى السائد. ومن يبادرون يوماً بعد آخر إلى إحداث التناغم بين قلوبهم وبين الخير السامى، يتمتعون في الواقع بصحة وثروةٍ وسعادة حقيقية.

ليست هناك حمايةٌ يمكن مقارنتها بالحماية التي يوفرها الخير، ولا أعني بالخير فقط الالتزام بقواعد الأخلاق في العالم الخارجي، إنما أعني نقاء الأفكار، والمطامح النبيلة، والحب غير الأناني والتحرر من التكبر.

الاستمرار بالعيش مع أفكار الخير يعني أن تحيط نفسك بمحيط نفسي من العذوبةِ والقوة التي تترك انطباعها على كل من يحتك بها.

كما يخلق شروق الشمس ظلالاً عاجزةً تدور معها، كذلك تُبعَد كل قوى الشر العاجزةُ أمام الأشعة المتغلغلة للفكرة الإيجابية التي تشع من القلب الذي أصبح قوياً بالنقاء والإيمان.

حيث يوجد الإيمان الصِرف والنقاء الذي لا تشوبه شائبة توجد الصحة، والنجاح والقوة. في شخص كهذا لا يجد المرض أو الإخفاق أو المحنة مكاناً تعيش فيه؛ لأنه لا يوجد لديه ما يمكن أن تتغذى عليه.

حتى الحالات الجسدية تتحدد إلى درجة كبيرة بالحالات الذهنية، وينجذب المجتمع العلمي إلى هذه الحقيقة بشكل متزايد. أما الاعتقاد المادي القديم بأن الإنسان هو ما يصنعه منه جسده فهو يتلاشى بسرعة، ليستبدل به اعتقاد ملهم بأن الإنسان أسمى من جسده، وأن الجسد هو ما يصنعه الإنسان منه بقوة الفكرة.

يتوقف الناس في كل مكان عن الاعتقاد بأن الإنسان يائسٌ لأنه مصاب بالاكتئاب، ويبدؤون بفهم أنه مكتئبٌ لأنه يائس، وسيعرف في المستقبل القريب أن كل الأمراض لها منشؤها في الذهن.

ما من شر في الكون إلا وله أصوله في الذهن، والخطيئة والمرض والحزن والمحن تنتمي جميعُها في الواقع إلى النظام الكوني وليست من طبيعة الأشياء، إنما هي نتيجة مباشرةٌ لجهلنا بالعلاقات الصحيحة بين الأشياء.

في الهند قديماً مدرسةٌ فلسفيةٌ تبنت حياة النقاء المطلق والبساطة، ووصلت أعمار أتباعها إلى مئة وخمسين سنةً بالمتوسط، واعتبرت الإصابة بالمرض نوعاً من العار لأنه إشارة إلى انتهاك القانون.

كلما أسرعنا في الإدراك ومعرفة أن المرض بعيد عن أن يكون نوعاً من العقاب الاعتباطي من الله، إنما هو نتيجة أخطائنا أو خطايانا، أسرعنا في اتباع مسار الصحة.

يأتي المرض لمن يجذبونه إليهم، ومن تتقبله أذهانهم وأجسادهم، ويبتعد عن الأقوياء الأنقياء ومولِّدي الجو الإيجابي من تيارات الأفكار التي تحمل الشفاء والحياة.

إذا سلَّمت للغضب والقلق والغيرة والجشع، أو أي حالة ذهنية غير متناغمة، وتوقعت صحة جسدية ممتازةً فأنت تتوقع المستحيل؛ لأنك تعمل باستمرار على زرع بذور المرض في ذهنك.

يحرص الحكيم على تجنب مثل هذه الحالات الذهنية؛ لأنه يعرف أنها أكثر خطراً بكثير من رشح مياه الصرف أو المنزل الموبوء بالمرض.

إذا أردت التحرر من كل الآلام والأوجاع الجسدية، والتمتع بتناغم جسدي مثالي فاضبط ذهنك واجعل أفكارك متناغمة. فكر في أفكار الفرح وأفكار المحبة، ودع إكسير النية الطيبة يسري في شرايينك، ولن تحتاج إلى دواء آخر. ضع جانباً غيرتك، وشكوكك، وقلقك وضغينتك، وملذاتك الأنانية، وستضع جانباً سوء الهضم، وداء الصفراء، وعصبيتك وآلام مفاصلك.

أما إذا أصررْتَ على التعلق بهذه العادات اللاأخلاقية المدمرة للذهن، فلا تتذمر من جسمك المريض. وتوضح القصة التالية العلاقة القوية بين عادات الذهن وبين الحالات الجسدية.

أصيب رجل بمرضٍ مؤلم، وجرب طبيباً بعد آخر دون نتيجة. زار بعد ذلك بلدةً عرفت بمياهها الشافية، وبعد الاستحمام في كل ينابيعها ازدادت آلامه أكثر.

زاره في الحلم في إحدى الليالي طيفٌ قال له: "يا أخي هل جربت كل وسائل الشفاء؟"، فأجابه: "نعم جربتها كلها". فقال الطيف: "لا لم تجربها. تعال معي وسأريك نبعاً للشفاء لم تلحظه."

تبعه الرجل المريض فقاده الطيف إلى بركة صافيةٍ من الماء وقال: "اغمر نفسك في هذه البركة الصافية وستشفى بالتأكيد" واختفى الطيف.

غمر الرجل جسده في الماء، وعند خروجه منه شعر بأن المرض غادر جسمه، ورأى في اللحظة نفسها كتابةً فوق البركة (في التوبة). أدرك لدى استيقاظه معنى حلمه هذا، ونظر في نفسه فأدرك أنه قضى عمره ضحية لذاته الشخصية الخاطئة، وأنه أقسم مراتٍ كثيرة على التخلي عنها.

التزم بقسمه منذ ذلك اليوم، وبدأ مرضه يترك جسمه، وخلال فترة قصيرةٍ شفي تماماً واستعاد صحته. يتذمر كثير من الناس من أن زيادة العمل تنهك أجسامهم، وفي أغلب الحالات يكون هذا الإنهاك نتيجةً للطاقة المهدورة بحماقة.

لتحافظ على صحتك عليك أن تتعلم العمل دون احتكاك؛ فالقلق والتوتر والغضب لأمور وتفاصيل تافهةٍ هو بمنزلة الدعوة إلى الإنهاك.

العمل سواء العضلي أم الفكري مفيد وصحي، والشخص القادر على العمل بمثابرةٍ ثابتةٍ وهادئةٍ متحرراً من القلق والتوتر، وبذهن ذاهلٍ عن كل شيء إلا العمل الذي بين يديه، لن ينجز أكثر من الشخص العجول والقلق فقط، بل إنه سيحافظ على صحته، وهي هبةٌ يفقدها الآخرون بسرعة.

تسير الصحة الجيدة مع النجاح جنباً إلى جنب؛ لأنهما محاكان معاً لا ينفصلان ضمن نسيج الأفكار، وكما ينتج التناغم الذهني سلامة الجسم، يؤدي كذلك إلى تسلسل متناغم لعمل الإنسان على خططه العملية.

نظم أفكارك وستنتظم حياتك. صبَّ زيت السكينة على المياه المضطربة للرغبات والتحامل، وعلى زوابع الحظ العاثر، ومهما يكن تهديدها لك فستجدها عاجزةً عن تدمير قارب روحك، وأنت تشق طريقك في محيط الحياة.

وإنْ أدير هذا القارب بفرحٍ وبإيمان لا يتزعزع فسيسير آمناً، ومجانباً مخاطر كثيرةً كانت لتهاجمه لولا هذا. ينجز كلُّ عملٍ بقوة الإيمان. فالإيمان هو الأسمى، الإيمان بالقانون الأعلى السائد، والإيمان بعملك، وبقدرتك على إنجازه، هذا الإيمان هو الصخرة التي يجب أن تبني عليها إذا أردت الإنجاز، والوقوف دون أن تسقط.

أن تتبع في كل الظروف الدوافعَ السامية في داخلك، وأن تحافظ على صدقك مع نفسك المقدسة، وأن تعتمد على النور الداخلي، والصوت الداخلي، وتلاحق غايتك بقلب لا يخاف ولا يكلّ، مؤمناً بأن المستقبل سيعود عليك بثمار أفكارك وجهودك، وعارفاً بأن قوانين الكون لا تختلُّ أبداً، وأن إرادتك ستعود إليك بدقةٍ رياضيةٍ، هذا هو الإيمان والعيش بإيمان.

بقوة مثل هذا الإيمان تتشتت المياه المظلمة لعدم اليقين، وتزول كل صعوبةٍ وعقبة، وتعبر الروح المؤمنة سالمةً. جاهد أيها القارئ لتحوز قبل كل شيء هذا الإيمانَ الثابتَ الذي لا يقدر بثمن؛ لأنه طلسم السعادة والنجاح والسلام والقوة الذي يجعل الحياة عظيمةً وأسمى من المعاناة.

ابنِ على مثل هذا الإيمان، وستبني على صخرة الأبدية، وبمواد الأبدية، والبنيان الذي ستشيده لن ينهار أبداً؛ لأنه أسمى من كل ركام الرفاهيات المادية التي تنتهي غباراً.

سواء كنت ملقىً في أعماق الأحزان أم مرفوعاً إلى أعالي الفرح، لا تتزحزح عن إيمانك هذا، وعدْ إليه دائماً براً للأمان، وأبقِ قدميك ثابتتين على أساسه الخالد الذي لا يتزعزع.

مسلحاً بمثل هذا الإيمان ستشعر بقوةٍ روحانية تجعل كل قوى الشر التي تهاجمك تتبعثر كأنها دمىً زجاجيةٌ، وستحقق نجاحاً لا يمكن لكفاح أي إنسان عادي أن يحلم بتحقيقه. "إن كان لديكم إيمان فلو قلتم لهذا الجبل أن يتحرك من مكانه إلى البحر لفعل."

هناك أناس من لحم ودم ممن وصلوا إلى مثل هذه الدرجة من الإيمان، يعيشونه يوماً بيوم، ومن أخضعوا إيمانهم هذا لأصعب الامتحانات، ودخلوا مملكة مجده وسلامه.

مثل هؤلاء الناس قالوا كلمتهم لتنزاح عنهم جبال الأحزان وخيبة الأمل، والقلق الذهني والألم الجسدي، لتنجرف إلى بحر النسيان.

إن سكنك مثل هذا الإيمان فلن تكون بحاجةٍ إلى القلق حيال النجاح أو الإخفاق، وسيأتيك النجاح. لن تحتاج إلى القلق حيال النتائج، بل ستعمل بفرحٍ وسلام عارفاً بأن الأفكار الصحيحة والجهود الصحيحة لا بد أن تجلب النتائج الصحيحة.

أعرف سيدةً حققت الكثير من الرضا. فعلق أحدهم قائلاً لها: "يالك من سيدة محظوظة، ما عليك إلا أن تتمني شيئاً فيكون لك."

والأمر في الحقيقة يبدو هكذا في ظاهره، لكنه في الحقيقة البَرَكةُ التي دخلت حياة هذه السيدة كنتيجة مباشرةٍ للحالة الداخلية من الغبطة التي تعيشها في حياتها التي قضتها تزرع وتدرب نفسها لتحقق الكمال.

لا يجلب التمني وحده أي شيء إلا خيبة الأمل، إنما طريقة العيش هي التي تخبر الحقيقة.

يتمنى الأحمق ويتذمر، في حين يعمل الحكيم ويصبر، ولقد عملت هذه السيدة، عملت في الخارج وفي الداخل، لكنها عملت بخاصةٍ في الداخل على القلب والروح، وبَنتْ باليدين الخفيتين للروح، باللَّبنات الثمينة للإيمان والأمل والفرح والتفاني والحب هيكلاً للنور أحاطها شعاعه المنير بنوره.

لمع البريق في عينيها، وشعَّ من سيماها، وتردد في صوتها، وشعر كل من لامس حضورها بلمسته الآسرة. وكما هي الحال معها كذلك هي معك، في نجاحاتك وإخفاقاتك، تأثيرك، وحياتك كلها التي تحملها معك؛ لأن النزعات السائدةَ لأفكارك هي العوامل المحددة لقدرك.

أرسل أفكار المحبة السعيدة التي لا تصدأ، وستأتيك البركة بين يديك، وستفرش مائدتك بمسبل السلام.

أرسل أفكاراً غير نقيةٍ من الضغينة والتعاسة، وستمطر عليك اللعنات، وسينتظرك الخوف والقلق على وسادتك. فأنت المختار لأفعالك مهما تكن أفعالك هذه. وأنت ترسل في كل لحظةٍ التأثيرات التي تبني حياتك أو تهدمها.

دع قلبك يكبر محباً غير أناني، وستجد تأثيرك ونجاحك عظيمين وباقيين، مع أنك تجني من المال القليل.

قيِّد قلبك بالحدود الضيقة لاهتماماتك الشخصية. ومع أنك قد تصبح فاحش الثراء إلا أنك ستجد تأثيرك ونجاحك في المحصلة لا يعدان مهمَّين. ازرع هذه الروح غير الأنانية إذن، واجمعها مع النقاء والإيمان، والغاية الواحدة وستطور في داخلك العناصر التي لا تجلب الصحة والنجاح الدائم فقط، بل العظمةَ والقوة.

إذا لم ترضَ عن موقعك الحالي، ولم تجد قلبك في عملك فنفذ واجباتك مع هذا بمثابرةٍ دقيقة، وارتح في ذهنك في الوقت نفسه لفكرة أن المنصب الأفضل والفرص الأعظم بانتظارك، واحتفظ بصورةٍ ذهنية حيةٍ للاحتمالات المنبثقة بحيث تتقدم بذهن محضَّرٍ تماماً للعمل في اللحظات الحرجة عندما تظهر لك قنوات جديدة، موظِّفاً الذكاء والبصيرة اللَّذين يولدان من الانضباط الذهني.

مهما تكن مهمتك ركز ذهنك كله عليها، ومدَّها بكل الطاقة التي تستطيع .يؤدي الإتمام المثالي للمهمات الصغيرة - لا مفرَّ - إلى مهمات أعظم .وانظر إلى هذه المهمات الصغيرة على أنها صعود بخطوات ثابتة ولن تخفق أبداً، وهنا يكمن سر القوة الحقيقية.

تعلم من الممارسة المستمرة كيف تسخر مواردك، وكيف تركزها في أية لحظة أو نقطة. يضيع الأحمق طاقته الذهنية والروحانية كلها في التسلية، والثرثرة الحمقاء والجدال الأناني، دون ذكر الطاقة الجسدية الضائعة.

إذا أردت امتلاك قوةٍ عارمةٍ فعليك أن تؤسس للاتزان وعدم الانفعال، وأن تتمكن من الوقوف وحدك. ترتبط كل القوة بعدم الحركة؛ فالجبال والصخور الهائلةُ وأشجار البلوط التي قاومت الأعاصير تخبرنا جميعها عن القوة، بسبب وقار عزلتها وثباتها الجريء، في حين أن الرمل المتنقل، والغصن الطيِّع، وأعشاب السهول المتموجة تخبرنا عن الضعف؛ لأنها متحركة غير مقاومة، وهي عديمة الجدوى تماماً عندما تنفصل عن رفاقها.

الإنسان القوي هو الذي يبقى هادئاً وثابتاً لا يتحرك عندما ينجرف رفاقه جميعهم بعاطفةٍ أو شغفٍ ما. وقد نجح في السيطرة على نفسه وقيادتها.

يبحث الهيستيري والخائف وعديم التفكير والأهوج عن الرفقة وإلا سقط لافتقاده للدعم، لكن الهادئ عديم الخوف والمتفكِّر يبحث عن العزلةِ في الغابة أو الصحراء أو في قمة جبل ليضاف مزيد من القوة إلى قوته، وينجح باستمرار في النجاة من التيارات النفسية والدوامات التي ينجرف البشر إليها.

ليس الشَّغف قوةً، إنما هو استخدام سيئ للقوة وتشتيت لها. تشبه الرغبة عاصفةً هوجاء تضرب الصخور الثابتة بقوة ووحشية، في حين أن القوة أشبه بالصخرة نفسها التي تبقى صامتةً لا تتحرك أبداً.

تجسدت القوة الحقيقية عندما قال مارتن لوثر المتعب من إصرار رفاقه الخائفين على سلامته من ذهابه إلى بلدة (وورمز) إذ قال: "لو كان في (وورمز (من الشياطين بقدر ما يوجد من قرميد على أسطحة منازلها فسأذهب."

وعندما انهار بينجامين ديزرالي في خطابه البرلماني الأول وجلب على نفسه استهجان المجلس، فقد أظهر بوادر القوة عندما قال: "سيأتي اليوم الذي ترون فيه الاستماع إلي شرفاً."

عندما تعرض هذا الشاب الذي أعرفه، والذي مـرَّ بكثير من معاكسات القدر، وسخرية رفاقه وطلبهم منه الكفَّ عن بذل المزيد من الجهد أجابهم" :لن يمر وقت طويل حتى تتعجبوا من حظي الطيب ونجاحي"، وأظهر أنه يمتلك تلك القوة الصامتة التي لا تقاوَم، والتي حملته على تجاوز صعاب شتى، وتوجت حياته بالنجاح.

إذا لم تملك هذه القوة فيمكنك تحصيلها بالتدريب، وبداية القوة هي أيضاً بداية الحكمة. وعليك أن تعمل لتتغلب على التفاهات عديمة الجدوى التي كنت ضحيتها حتى الآن.

الضحك الانفعالي غير المسيطر عليه والافتراء والحديث التافه، والمزاح لمجرد الإضحاك، كل هذه الأشياء يجب وضعها جانباً نظراً لكونها مضيعةً للطاقة الثمينة.

لم يظهر القديس بولص بصيرته الرائعة للقوانين الخفية لتطور الإنسان إلى مستويات أعلى، أكثر مما فعل حين حذر أهل (أفسوس) من "الحديث الأحمق والمزاح غير اللائق" لأن اعتيادك مثل هذا السلوك يعني تدميرك للقوة الروحانية للحياة.

مع نجاحك في الارتقاء بنفسك وتحصينها ضد مثل هذه اللذات الذهنية ستبدأ بفهم القوة الحقيقية، وستعمل عندها على الارتقاء بروحك أعلى من هذه الملذات التي تبقي روحك سجينةً، وتسدُّ طريقك إلى القوة، وسيتوضح طريق تقدمك أكثر فأكثر.

كن قبل كل شيء وحيد الهدف، واتبع غايةً مشروعةً ومفيدة، وانذر نفسك لها تماماً. لا تدع أي شيء يحرفك عنها، وتذكر أن الشخص المتردد غير ثابت في طرقاته كلها.

سارع إلى التعلم، وأبطئ في الطلب. افهم عملك فهماً عميقاً وعُدَّه خاصاً بك، وتقدَّم متبعاً دليلك الداخلي، والصوت الذي لا يخدعك، وستنتقل من نصر إلى آخر، وسترتقي خطوةً بعد أخرى إلى مواضع أعلى، وستكشف لك نظرتك التي تزداد اتساعاً جمال جوهرك وغايتك في الحياة.

كُنْ نقـيَّ النفس تكن الصحة ملكك، ومحمياً بإيمانك، يحالفك النجاح، ومسيطراً على نفسك، تملكْ القوة، ويزدهرْ كل ما تفعله؛ لأنك، وبعد أن توقفت عن كونك وحدةً متفرقةً ومستعبداً لنفسك، ستتناغم الآن مع القانون الأسمى، وعدت لا تعمل ضد الحياة الكونية، والخير الأبدي بل معهما.

أما الصحة التي تكسبها فتبقى معك، والنجاح الذي تحققه سيفوق حسابات البشر، ولن تزول من الوجود؛ فالتأثير والقوة التي ذللتها لخدمتك ستستمر بالازدياد عبر العصور؛ لأنها صارت جزءاً من المبدأ الثابت الذي يدعم الكون.

هذا هو إذن سر الصحة؛ القلب النقي والذهن المرتب، وهذا سر النجاح؛ الإيمان الذي لا يتزعزع، والغاية الموجهة بحكمة، وأن تمسك بعنان البذور السوداء للرغبة بإرادة لا تلين فهذا سر القوة.

كلُّ الطُّرُق بانتظار قدمـيَّ لتطرقها

النور والظلمة، والحياة والموت

الطريق الواسعة والضيقة، الصاعدة والهابطة

الخير والشر، والخطوة السريعة أو البطيئة

يمكنني الآن أن أسير في الطريق الذي أريد

وأجد في سيري ما هو الخير وما هو الشر.

وكل الخير الذي ينتظر قدمـيَّ الهائمتين

إن وصلت بعهدٍ لم أحنثه

سائراً على الطرقات الضيقة والواسعة والمقدسة

من النقاء المولود في القلب، والباقي هناك

يسير محصناً من السخرية والازدراء

في دروب مزهرةٍ وسط طريق الأشواك.

ربما أقف حيث الصحة والنجاح والقوة

تنتظر قدومي، إن أنا تعلقت في ساعة تمرُّ

بالحب والصبر، وسلَّمتُ

دون شائبةٍ، ولم أحِدْ

ومن سـموِّ النزاهة، سأرى

في النهاية أرض الخلود

ربما أسعى وأجد، وربما أنجز

ربما لا أطالب، لكن إن فقدت فقد أعود لأجد

لن ينحني القانون لي، أنا من أنحني

تحت سلطة القانون، وإن كان لي أن أصل النهاية

في محنتي، إن كان لي أن أعيد

روحي إلى النور والحياة، ولا أبكي مرةً

ليس التعجرف والأنانية لي

لي كل الأشياء الجيدة، فليكن هدفي متواضعاً

أن أبحث وأجد، وأن أعرف وأفهم

والحكمة تحمي كل الخطا المقدسة

ليس من شيء لي لأدعيه أو أطالب به

لكن كل شيء لي لأعرفه وأفهمه.

الفصل السادس

سر فيض السعادة

عظيمٌ هو التعطش إلى السعادة، وكذلك هو افتقادها. يتوق أغلب الفقراء إلى الثراء، معتقدين بأن امتلاكهم للمال سيحمل لهم السعادة الأسمى والدائمة.

كثير من الأغنياء ممن جذبوا إليهم كل رغبةٍ ونزوة، ويعانون السأم والتخمة، هم أبعد عن السعادة من الفقير المعدم.

إذا نظرنا في حال الأمور هذه، فستقودنا في النهاية إلى معرفة الحقيقة المهمةِ؛ بأن السعادة لا تأتي من المقتنيات الخارجية فقط، ولا يأتي البؤس من نقصها، لأنه لو كان الأمر على هذا النحو لوجدنا الفقير بائساً دائماً، والثري سعيداً دائماً، في حين أن العكس هو الحال غالباً.

عاش بعض أكثر الناس الذين عرفتهم بؤساً محاطين بكل أشكال الثراء والرفاهية، في حين أن بعض أكثر الناس سعادةً وإشراقاً ممن التقيتهم لم يمتلكوا إلا أبسط مستلزمات الحياة.

كثير من الناس من فاحشي الثراء اعترفوا بأن الجذب الأناني الذي تبع جمعهم للثروة سلب حياتهم حلاوتها، وأنهم لم يكونوا يوماً سعداء، كما كانوا وهم فقراء.

ما السعادة إذن؟ وكيف تتحقق؟ أهي شيء مختلق، أو وهمٌ، والمعاناة وحدها الخالدة؟ يفترض بنا أن نجد بعد معاينة دقيقة وتمعُّن أن الجميع، إلا من اتخذوا مسار الحكمة، يعتقدون بأن السعادة لا تتحقق إلا بتحقيق الرغبات.

هذا الاعتقاد المتجذر في تربة الجهل، والمروي بالشهوات الأنانية باستمرار، هو السبب في كل بؤس العالم.

ولا أقصر كلمة الرغبة على الشهوات الحيوانية الفاضحة، بل إن المصطلح يمتد إلى سياق نفسي أعمق حيث تعمل شهوات أكثر قوةً ومكراً وإغواءً على استعباد المفكر والمهذب، مجردةً إياه من جمال الروح وتناغمها ونقائها التي تعبر عن نفسها بالسعادة.

يعترف معظم الناس بأن الأنانية هي السبب في كل التعاسة في العالم، لكنهم يقعون ضحايا الوهم المدمر للروح بأنها أنانية شخصٍ آخر وليست أنانيتهم.

عندما تعتزم الاعتراف بأن تعاستك كلها نتيجةٌ لأنانيتك أنت، فلن تكون بعيداً عن بوابات النعيم، لكن ما دمت مقتنعاً بأن أنانية الآخرين هي التي تحرمك الفرح، فستبقى سجين مَظهرِك الذي خلقته بنفسك.

السعادة هي الحالة الداخلية من الرضا التام الذي هو الفرح والسلام، والتي تُستأصل منها كل رغبة. الرضا الناتج عن الرغبة المحققة عابرٌ ووهمي، وهو متبوع دائماً بطلب متزايد لإرضاء مزيد من الرغبات.

الرغبة نهمةٌ كالمحيط، وتضجُّ أكثر فأكثر كلما لُبِّيت مطالبها .وتطالب بالمزيد من خدمها الموهومين، حتى يقعوا أخيراً تحت وطأة بؤس جسدي أو عقلي، ويُدفعوا في نيران المعاناة المطهِّرة. الرغبة من أركان الجحيم، حيث يتوضع العذاب كله.

إن التخلي عن الرغبات هو إدراك الفردوس، وكل المسرَّات تنتظر من يحجُّ إلى هناك.

أرسلت إلى روحي عبر الغيب

رسالةً مما بعد الحياة لأرقِّيها

فأجابت روحي دون إبطاءٍ

وهمست لي قائلةً:

أنا الجحيم وأنا الفردوس

الجحيم والنعيم حالتان داخليتان. اغرق في نفسك وكل جواذبها فستغرق في الجحيم، ارتقِ فوق النفس إلى تلك الحالة من الوعي التي هي الإنكار المطلق للذات ونسيانها، فستدخل النعيم.

النفس عمياء، لا تملك المحاكمة، ولا تملك المعرفة الحقيقية، وتؤدي دائماً إلى المعاناة. أما الفهم الصحيح، والمحاكمة غير المنحازة، والمعرفة الحقيقية فتنتمي إلى حالة ربانية، وفقط عندما تدرك هذا الوعي الرباني يمكنك أن تعرف السعادة الحقيقية.

ستتجنبك السعادة مادمت مصراً على السعي الأناني إلى تحقيق سعادتك الشخصية، وستزرع بهذا بذور الشقاء.

وبقدر ما تنجح في نسيان نفسك في خدمة الآخرين ستأتيك السعادة، وستقطف ثمار البركة.

بالمحبة يتبارك القلب

وليس بأن تكون محبوباً

وفي العطاء لا في ابتغاء الهبات

نجد ما نسعى إليه

مهما تكن حاجتك أو توقك

التي تعطيها

فهي ما تغذي روحك به،

وهكذا في الحقيقة

ستعيش واقعك

تعلَّق بالنفس، تتعلقْ بالحزن. وتحرر من نفسك تدخلْ عالم السلام .السعي الأناني ليس فقداً للسعادة فقط، بل هو فقدٌ أيضاً لما نعتقده مصدراً للسعادة.

كما يبحث النَّـهم باستمرار عن أطعمة شهية جديدة يحفز بها شهيته الميتة، وكما أن المنتفخ من الطعام، والمثقل به والمريض نادراً ما يتناول طعاماً يتمتع به.

في حين أن من سيطر على شهيته للطعام، ولا يسعى ولا يفكر حتى في متعة أمعائه، يجد متعةً في تناول معظم الأطعمة البسيطة. ينظر الناس إلى الشكل الملائكي للسعادة من خلال أعينهم متخيلين أنهم يرونه في الرغبة المحققة، وعندما يصلون إليه يجدونه دائماً هيكلاً للبؤس. وصحيح أن "من يبحث عن حياته يفقدها، ومن يتخلى عن حياته يجدها."

تأتيك السعادة الدائمة عندما تتوقف عن التعلق الأناني، أو تعتزم التخلي عنه. عندما تعتزم أن تتخلى دون رجعة عن ذلك الشيء المؤقت العزيز عليك جداً، الذي سينفصل عنك سواء تعلقت به أم لم تتعلق، فستجد أن ما بدا لك خسارةً مؤلمةً هو في الحقيقة فوزٌ عظيم.

أن تتخلى لكي تكسب، ليس هناك وهمٌ أكبر، ولا مصدر أكثر توليداً للبؤس منه، أما أن تنوي التخلي وأن تعاني الخسارة فهذا في الحقيقة الطريق إلى الحياة.

كيف يمكن أن نجد السعادة الحقيقية بإدخال أنفسنا في تلك الأشياء التي من طبيعتها التلاشي؟ السعادة الحقيقية والباقية لا يمكن أن توجد إلا بالتمركز حول ما هو دائم.

لذا ارتقِ فوق توقك إلى الأشياء الزائلة غير الدائمة، تدخلْ حالة وعيٍ للأبدية، وفي أثناء ارتقائك فوق نفسك، وتنقيتك لروحك أكثر فأكثر، والتضحية بنفسك، وعيشك الحب الكوني سيصبح لك مكانك في ذلك الوعي، وتدرك السعادة التي لا تظهر أي رد فعل، والتي لا يمكن أن تؤخذ منك أبداً.

القلب الذي وصل إلى أقصى حدود نكران الذات في حبه الآخرين لم يمتلك السعادة الأسمى فقط، بل إنه دخل عالم الخلود لأنه فهم السماوي.

ألق نظرةً على حياتك السابقة تجدْ أن لحظات السعادة القصوى كانت تلك التي تلفظت فيها بكلمةٍ أو تصرفت تصرفاً من التعاطف أو الحب المنكر للذات .السعادة والتناغم مترادفان روحانياً.

التناغم أحد أطوار القانون الأسمى الذي يعبر عنه روحانياً بالحب. كل أنانيةٍ نشاز، أن تكون أنانياً يعني خروجك عن التناغم مع النظام السماوي.

عندما ندرك أن الحب الذي يعانق الجميع هو نقيض النفس، نضع أنفسنا في تناغم مع الموسيقا الربانية، والأغنية الكونية، ويصبح اللحن الخالد الذي هو السعادة الحقيقية لحـننا.

يندفع الرجال والنساء هنا وهناك في بحثٍ أعمى عن السعادة، ولا يجدونها، ولن يجدوها حتى يدركوا أن السعادة موجودة فيهم ومن حولهم، تملأ الكون، وأنهم في بحثهم الأناني يمنعون أنفسهم عنها.

طاردتُ السـعادة لأجعلها ملكي

مررت بأشجار البلوط السامقة

والكرمة المتعرشة المتمايلة فتجنبتني

لاحقتها لاهثاً في الجبال والوديان

لاحقتها في الحقول والسهول،

وفي الوديان الأرجوانية

طاردتها لاهثاً في الجداول المندفعة

تسلقت الجروف الشاهقة

حيث تصيح النسور

قطعت بسرعة الوديان والجبال

لكن السعادة هربت مني دوماً

متعباً ومنهكاً توقفت عن مطاردتها

واستلقيت أستريح على شاطئ قاحل

أتاني أحدهم يسألني طعاماً، وآخر يسألني صدقة

فوضعت الخبز والذهب في الأكفّ النحيلة.

سألني أحدهم تعاطفي، وآخرُ الراحةَ

فشاركت كل محتاج أفضل ما لدي

ويا للعجب! السعادة الحلوة في هيئة سماوية

وقفت أمامي تهمس بحنوٍّ "أنا لك"

تعبر هذه السطور الجميلة من كلام بيرلي عن سر السعادة الباقية. ضحِّ بالشخصي والزائل، ترتقِ في لحظةٍ إلى اللاشخصي والدائم.

تخلَّ عن النفسِ الضيقة المقيِّدة التي تسعى إلى استحواذ كل الأشياء المتعلقة باهتماماتها التافهة، ترافقْك الملائكةَ إلى قلب الحب الكوني.

انسَ نفسك تماماً في أحزان الآخرين وفي عيونهم، تنتشلك السعادة السماوية من كل الحزن والمعاناة.

"خطوت خطوتي الأولى بفكرة طيبة، والثانية بكلمة طيبة، والثالثة بفعلٍ طيب فدخلتُ الجنة"، ويمكنك أنت أيضاً أن تدخل الفردوس باتباعك المسار نفسه .ليس بعيداً بل هو هنا، لا يدركه إلا

غير الأناني. ولا يعرفه كله إلا نقي القلب. فإذا لم تدرك هذه السعادة غير المحدودة بعد فيمكنك أن تجسدها بأن تتمسك بمثالك النبيل من الحب غير الأناني، ورجاء عيشه.

الرجاء أو الصلاة رغبةٌ موجهةٌ إلى الأعلى، وهي الروح في تحولها لمصدرها السماوي، حيث لا يوجد إلا الرضا الدائم. تتحول القوى المدمرة للرغبة من خلال الرجاء إلى طاقة سماوية محفوظة.

الترجي هو أن تبذل الجهد لتنفض عنك أصفاد الرغبة، وهو الابن المبذر الذي أصبح حكيماً بسبب الوحدة والمعاناة عائداً إلى بيت أبيه.

مع ارتقائك فوق النفس الوضيعة، وكسرك للأصفاد التي تقيدك واحداً بعد آخر ستدرك فرح العطاء، وتميزه عن بؤس التمسُّك، فتعطي المادة والفكر والحب والنور الذي يكبر في داخلك. لتدرك حقيقة أن "العطاء أكثر بركةً من الأخذ."

لكن لا بد للعطاء من أن ينبع من القلب دون أي وصمةٍ من النفس، ودون رغبةٍ في المقابل. هبة الحب النقي مصحوبةٌ دائماً بالبركة. وإذا شعرت بأنك جُرحت بعد أن أعطيتَ لأنك لم تحظَ بالشكر أو الإطراء أو بوضع اسمك في الصحيفة فاعلم أن هبتك كانت بدافع الغرور لا الحب، وأنك أعطيت فقط للحصول على مقابل، ولم تعطِ فعلاً بل تعلقت بشيء آخر.

انسَ نفسك في مصلحة الآخرين، وانسَ نفسك في كل ما تفعله، فهذا هو سر السعادة الباقية.

تيقظ دائماً واحرس نفسك من الأنانية، وتعلم الدروس الربانية للأضحية الداخلية بتفانٍ لتتسلق إلى أعلى أعالي السعادة، وتبقى في نور شمس الفرح الكوني متشحاً بدثار الخلود.

هل تبحث عن سعادة لا تذوي؟

هل تبحث عن فرحٍ يعيش، ولا يترك يوماً بائساً؟

هل تلهث وراء جداول الحب، والحياة والسلام؟

اهجر الرغبات المظلمة إذن

وتوقف عن مساعيك الأنانية.

هل أنت تائه في مسارات الألم

مسكوناً بالأسى، تضربك المحن؟

هل تهيم في طرقات تجرِّح قدميك المتعبتين؟

هل تتنهد تنشد مكاناً ترتاح فيه

حيث لا دموع ولا أحزان؟

ضحِّ إذن بقلبك الأناني

وابحث عن قلب السلام.

الفصل السابع

إدراك الغنى

وحده القلب الذي يفيض بالنزاهة والثقة والكرم والحب يُمنح هبة إدراك الغنى الحقيقي. أما القلب غير الحامل لهذه الصفات فلن يعرف الغنى؛ لأنه كالسعادة ليست ملكيةً خارجية إنما هي إدراك داخلي.

ربما يحقق الجشـعُ ثراءً فاحشاً، لكنه سيبقى دائماً بائساً، ووضيعاً وفقيراً، بل إنه سيعدُّ نفسه دائماً فقيراً ما دام شخص واحد في العالم أكثر منه ثراءً، في حين أن الشخص المستقيم مفتوح اليد والمحب سيعيش الغنى والرغد التامين رغم قلة ممتلكاته الخارجية.

الفقير هو غير القانع، وأما الغني فمن قنع بما لديه، والأغنى هو الكريم مما لديه. عندما نتأمل في حقيقة أن الكون يزخر بكل الخيرات، سواء المادية أم الروحانية، ونقارنه بتعطش الإنسان الأعمى إلى جمع بضع قطع ذهبية، أو مساحات من التراب ندرك مدى ظلمة الأنانية الجاهلة، وعندها نعرف أن السعي لإرضاء النفس هو تدمير لها.

تمنح الطبيعة كل شيء دون تحفظ، ولا تخسر شيئاً، أما الإنسان المتمسك بكل شيء فيخسر كل شيء.

فإذا أردت تحقيق الرغد الحقيقي فلا تستكنْ كما فعل كثيرون للاعتقاد بأنك إذا فعلت الصواب ساءت أمورك. ولا تسمح لكلمة (منافسة) أن تهزَّ إيمانك في سيادة الصواب.

لا أهتم لما يقوله الناس عن (قوانين المنافسة)؛ لأنني أعرف القانون الذي لا يتغير والذي سيهزمهم جميعاً يوماً، والذي يهزمهم الآن في قلب الإنسان المستقيم وفي حياته.

عارفاً هذا القانون أستطيع الآن أن أشاهد كل الكذب من حولي دون أن أتأثر لأنني أعرف أين يقبع الدمار التام. في كل الظروف افعل ما تعتقده صواباً، وثِقْ بالقانون، وثق بالقدرة الربانية القريبة في الكون، وهي لن تخذلك أبداً، وستبقيك محمياً دائماً.

ستتحول كل خسائرك مع مثل هذا الإيمان إلى فوز، وتتحول كل اللعنات والتهديد إلى بركة. لا تحدْ يوماً عن النزاهة والكرم والحب؛ لأنها مقرونة بالطاقة سترفعك إلى حالة الغنى الحقيقي.

لا تصدق العالم حين يخبرك أن عليك الاستمرار في (المرتبة الأولى (ويليك الآخرون؛ فهذا يعني عدم التفكير نهائياً في الآخرين، إنما في راحتك الشخصية فقط.

سيأتي اليوم لمن يقومون بهذا حيث يهجرهم الجميع، وسيصرخون في وحدتهم وبؤسهم دون أن يجدوا أحداً يسمعهم أو يساعدهم. أن يفكر المرء في نفسه قبل التفكير في أي شخص آخر؛ يعني أن يقيد هذا الإنسان كل نبض إلهي سامٍ، ويحرف ويعيق.

اترك لروحك أن تتسع، ولقلبك أن يمتد إلى الآخرين بدفء المحبة والكرم، وسيكون فرحك عظيماً ودائماً، وستجد كل الغنى يأتيك. أولئك الذين حادوا عن طريق الصواب يحمون أنفسهم من المنافسة، أما من يلاحقون الحق دائماً فلا يحتاجون أن يتكبدوا عناء مثل هذه الحماية.

ليس هذا كلاماً فارغاً، فهناك أشخاص اليوم ممن استطاعوا بقوة النزاهة والإيمان أن يتغلبوا على كل المنافسة، ومن استطاعوا دون الانحراف عن منهجهم عندما ينافسهم أحد ما أن يرتفعوا بثبات إلى الغنى، في حين أن من حاولوا القضاء عليهم عادوا مهزومين.

إن امتلاك هذه الصفات الداخلية التي تؤسس للخير يعني أنك محصن ضد كل قوى الشر، ويعني حمايةً مضاعفةً في أوقات المحن، وزرع المرء لهذه الصفات في نفسه هو زرعه لنجاح لا يتزعزع، ودخولٌ في عالم من الغنى يستمر إلى الأبد.

ثوب القلب الأبيض الشفاف

ملطخ بالخطيئة والأحزان، والبؤس والألم

وكل ينابيع الصلاة وبحيرات الندم

لن تعيد للثوب بياضه من جديد

لن تتوقف وصمات الخطأ عن تلويثي

وأنا أسير في درب الجهل

بقع الدنس تَسِمُ درب النفس

حيث يكمن البؤس وتلسع خيبة الأمل

وحدها المعرفة والحكمة

قادرة على تطهير ثوبي

لأن فيها مياه الحب، وفيها

يهجع السلام صافياً وآمناً وأبدياً

الخطيئة وتكرارها هما درب الألم

المعرفة والحكمة هما درب السلام

وعلى طريق التجربة سأجد أين تبدأ البركة،

وكيف يتوقف الألم والحزن.

على النفس أن تترك المكان لتحلَّ الحقيقة مكانها

وأن يسكن فـيَّ الذي لا يتغير وغير المرئي

ويطهِّر ثوب القلب الأبيض الشفاف

جيمس آلان

ولد جيمس آلان في ٢٨ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٨٦٤ م في مدينة (Leicester) في بريطانيا. وعندما كان في الخامسة عشرة من عمره تعرض والده لعملية سرقة وقتل، الأمر الذي اضطر جيمس إلى ترك المدرسة وممارسة العمل للمساعدة في دعم عائلته. وحتى الثامنة والثلاثين من عمره، وهو الوقت الذي تم تعريفه فيه على أعمال تولستوي، كانت حياة جيمس آلان عبارة عن حياة تاجر عادي. وعقب لقائه بكتابات الكاتب الروسي العظيم (والذي سيلهم لاحقاً مذهبه في اللاعنف المهاتما غاندي)، قام آلان برفقة زوجته ليلى وابنته نورا بالانتقال إلى Ilfracombe) (في ريف (Devon) ليحيا حياة بسيطة من التأمل. وخلال السنوات التسع التالية، ألف ١٩ عملاً وحرر ونشر (مع زوجته (المجلة الفلسفية نور العقل. تكمن الفكرة المركزية لأغلب كتب آلان في إمكانية استخدام قوة التفكير لأجل تطوير الأفراد وظروف حياتهم. وأكثر الأمثلة شهرة عن هذه الفلسفة موجود في العمل الكلاسيكي (كما يفكر الإنسان (الصادر عام ١٩٠٢م، وهو الكتاب الذي يراه العديدون أحدَ الأركان الأساسية لحركات مساعدة الذات وأساليب التفكير الجديد.

توفي جيمس آلان عام ١٩١٢ م.

مستخلص

يضم هذا الكتاب قسمين، الأول ((الإنسان كما يفكر يكون))، والثاني ((درب الغنى.))

هدف المؤلف في القسم الأول أن يقول للناس: أنتم الذين تصنعون أنفسكم، بسبب اختياركم لنوع الأفكار التي تشجعونها، والتي ينسجها العقل البارع برداء من الشخصية الداخلية والظروف الخارجية، وليس بالتجاهل والألم، بل بالاستنارة والسعادة.

حول هذا الموضوع تناول المؤلف عدداً من النقاط التي تؤدي إلى ذلك، وهي علاقة الشخصية بالتفكير، وتأثير التفكير في الظروف، وتأثير التفكير في صحة الجسد، والتفكير وعلاقته بالأهداف، ودور عامل التفكير في تحقيق الإنجاز، ودور الرؤى والمثل العليا، وأخيراً الصفاء النفسي,

أما القسم الثاني فأراده المؤلف أن يكون دليلاً للنجاح والسعادة؛ ومن هنا قدّم موضوعات أربعة، تدور حول الفكرة العامة، فوقف في أولها عند الشيطان ليأخذ منه درساً يقي من الشقاء والألم وسوء الحظ، وبين في ثانيها أن العالم الواقع انعكاس للحالة الذهنية، وفي الموضوع الثالث تحدث عن طريق الخروج من الظروف غير المرغوبة، وأخيراً فالموضوع الرابع يؤكد فيه على ضرورة سيطرة الإنسان على قواه.

الكتاب يخدم الإنسان من أجل اتزانه وسعادته.

الـهوامش

1بمعنى أنه لا يمكن تفسير أي وضع حياتي أو مادي بالاستناد إلى الوقائع الخارجية وحدها دون ربطها بطريقة تفكير الإنسان. المترجم.

2جهاز من الزجاج الملون يدخله النور الأبيض ويخرج منه على شكل حزمة ألوان. المترجم.

3فأرة النجار.

4شخصية إغريقية اشتهر بسيفه، ومنه أخذ تعبير سيف ديموكلين.